العلاقات التجارية بين اليمن والحبشة في القرن السادس الميلادي

(٥٢٥-٥٧٥م)



المكتبة التاريخية اليمنية

تأليف/

نشوان زيد علي عنتر

العلاقات التجارية بين اليمن والحبشة في القرن السادس الميلادي (٥٢٥ -٥٧٥م)

تأليف/

نشوان زيد علي عنتر

١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م

المؤلف: نشوان زيد علي عنتر.

اسم الكتاب: العلاقات التجارية بين اليمن والحبشة في القرن السادس الميلادي (٥٢٥ – ٥٧٥م).

نوع الكتاب: رسالة ماجستير.

الناشر: نقش للنشر

https://www.facebook.com/naqsh.pub

إيميل: naqsh.pub1@gmail.com

تصميم الغلاف: نقش للنشر.

مراجعة وتنقيح: د. حمزة عبد الله الضياني

الطبعة: الأولى ٢٠٢٢م

رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية بصنعاء:

للتواصل مع المؤلف:

إيميل: nashwan.zaid@gmail.com

﴿ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ ﴾

[الدخان آية: ٣٧]

المكتبة التاريخية اليمنية

www.yemenhistory.org

مختار محمد الضبيبي

الإهــداء

إلى شباب وطني المجيد

خير خلف لخير سلف

وحماته المخلصين

من شر أعدائه الحاقدين

على مر الزمن

نشوان

قائمة الرموز والاختصارات

A	Welcome museum
A1100	نقش عبدان
B 48	نقش ينبق
Bomby	متحف بومباي
CIH	Corpus inscriptionum Semitic arum
CIH 235	نقش ثأران
CIH 541	نقش أبرهة الكبير
CIH 621	نقش حصن الغراب
D. A. E	Deutsch Aksum expedition
Fa	نقوش أحمد فخري
Ga	نقش جاربيني
GL	نقوش إدوارد جلازر
HA	نقوش هاليفي
Haram15	نقوش الجوف ٦,٠٤ , ٧,٠٤
Ir	نقوش مطهر الإرياني
Ir 28	نقش معبد أوام
Ja	نقوش جام
Ja 670	محرم بلقيس
JE	نقوش يحا
MAFRAY	البعثة الألمانية للآثار في الجمهورية العربية اليمنية – نقش المعسال
MM	مجموعة النقوش المعينية
NA	نقوش خليل نامي

Pire	نقش جاكلين بيرين – خور روري
Res	Repertoire des epigraphes semitiques
Res 3945	نقش النصر
Res 3948	نقش بيت الأشول
Res 483	نقش النمارة
Ry	نقوش ريكمانز
Ry 506	نقشي المريغان الصغير والكبير
Ry 510	نقش ماسل الجمح
Sh	نقوش شرف الدين
YM	نقوش يوسف محمد عبد الله
عنان	نقوش زيد عنان

المحتويات

المقدمة

لم يخطر ببالي أنني سأتخذ موضوعًا يتعلق بالصراع اليمني – الحبشي عنوانًا لرسالة الماجستير الخاصة بي؛ سيّما وأنها نالت نصيبًا وافرًا من البحوث والدراسات العلمية والأكاديمية العديدة على حد سواء، والتي أسهب مؤلفوها من أصحاب الاختصاص على مختلف مشاربهم من مؤرخين وأكاديميين عرب وأجانب فيها، وما زالوا إلى وقتنا الحاضر؛ حيث كان في نيتي اختيار مواضيع أخرى لها علاقة بتاريخ اليمن القديم وحضارته لم تحظ باهتمامهم الكافي كالأدب أو الموسيقى أو العلاقات التجارية مع دول جنوب شرق آسيا أو وضع الأسرة في المجتمع اليمني القديم... إلخ، فلا أخيفكم سرًا أنني واجهت العديد من الصعوبات بغية إنجازها بشكلٍ أكاديمي، ففضلًا عن العراقيل والعقبات الإدارية والتي واجهتنا عند بحثنا عن هذه الكتب في المكتبات الجامعية والفرعية داخل العاصمة صنعاء وخارجها في المحافظات الأخرى التي تفتقر إلى وجود مكتبة عامة بالمفهوم، لم نكن نمتلك الإمكانيات المالية الكبيرة لشراء الكتب المتعلقة بموضوع رسالتنا أو حتى السفر إلى أثيوبيا للبحث عن مصادر تاريخها القديم في جامعاتها ومكتباتها العامة.

لكن معظم الدراسات السالفة الذكر لم تتعمق بما فيه الكفاية فيما يتعلق بالجوانب الاقتصادية منها وبالتحديد إبان فترة الاحتلال الحبشي الثاني لليمن التي حدثت خلال القرن السادس الميلادي والظروف الدولية المحيطة بها ومدى تأثيرها المحوري في مجريات النزاع الدائر بين الطرفين منذ قرون سلبًا كان أم إيجابًا، وهذا ما أسعى إليه جاهدًا عبر رسالتي المتواضعة الموسومة بالعلاقات التجارية اليمنية – الحبشية في القرن السادس الميلادي (٥٢٥ – ٥٧٥م) بُغية المساهمة في سبر أغوار ولو جزء بسيط للعوامل الاقتصادية

المؤثرة في مجريات الصراع اليمني – الحبشي عامةً والنزاع الحميري – الأكسومي خاصةً، ومدى ارتباطها الوثيق بالأحداث الدولية السائدة في تلك الحقبة، وهي مكونة من ثلاثة فصول: الأول يتعلق بالأوضاع الداخلية في اليمن والحبشة منذ القرن الأول الميلادي حتى منتصف القرن الخامس الميلادي؛ أي قبل الفترة الزمنية لعنوان الرسالة، وينقسم بدوره إلى مبحثين: الأول يتناول الأوضاع السياسية، والثاني الأوضاع الاقتصادية. ثم ننتقل بالفصل الثاني المتعلق بالعلاقات الاقتصادية بين اليمن والحبشة خلال القرن السادس الميلادي، وينقسم بدوره إلى مبحثين: الأول يتناول التبادل التجاري بين البلدين، وتشمل الصادرات الزراعية والحيوانية والصادرات الصناعية، والثاني يتناول الاتفاقيات التجارية بين البلدين. أما الفصل الثالث؛ فيتعلق بالعوامل المؤثرة على النشاط التجاري بين اليمن والحبشة سلبًا كانت أم إيجابًا، وينقسم إلى مبحثين: الأول يتناول العوامل الداخلية من سياسية واجتماعية، والثاني يتناول العوامل الخارجية ودور القوى الدولية والإقليمية الكبرى وبسط نفوذها في إقليمي جنوب الجزيرة العربية والبحر الأحمر والصراعات الدائرة بينهم وأثرت في حركة الاقتصاد العالمي آنذاك.

وفي الختام؛ أرجو من الله العليّ القدير أن يوفقني أيما توفيق فيما أقوم به، وأتمنى من قلبي أن يساهم عملي الحالي في تقديم إضافات جديدة تثري تاريخنا اليمني القديم، وتفكّ المزيد من طلاسمه العديدة المتعلقة بجوانبه الحضارية الفريدة، وتدفع المتتبعين إلى إعادة كتابته من جديد.

صنعاء ٢٠١٣م

الفصل الأول:

الأوضاع الداخلية في اليمن والحبشة
من القرن الثالث الميلادي
حتى القرن الخامس الميلادي

المبحث الأول:

الأوضاع السياسية

الإمبراطورية البيزنطية:

شهدت منطقة شبه الجزيرة العربية والقرن الإفريقي عامةً واليمن والحبشة خاصةً منذ القرن الأول قبل الميلاد إلى القرن الثالث الميلادي العديد من الأحداث الدولية المهمة المنبثقة من رحم الصراع المحتدم بين الإمبراطوريتين الفارسية والبيزنطية وبسط نفوذهما على الإقليمين المذكورين سلفًا بشتى الوسائل، فالرومان أسلاف البيزنطيين منذ استيلائهم على مصر ٣٠ ق.م [(١)] وضعوا المنطقة نصب أعينهم؛ لما تمتلكه من خصائص جغرافية استراتيجية واقتصادية تمثّلت في وقوعها وسط العالم القديم، وتحكّمها في مضايق هرمز وباب المندب وخليج السويس، وسيطرتها على ٩٠٪ من شبكة الطرق التجارية العالمية البرية كطريق القوافل أو البخور والبحرية كطريق البحر الأحمر من وإلى الهند والصين، إضافةً إلى إنتاجها لأهم السلع النقدية الضرورية آنذاك بالنسبة لهم كاللبان والمرّ والصبر والذهب. وما لفت نظر الرومان أيضًا أن معظم هذه الخصائص السالفة الذكر توجد في بلد واحد ألا وهو جنوب الجزيرة العربية المعروف حاليًا باليمن؛ مما دفع الإمبراطور أغسطس إلى إرسال حملة عسكرية بقيادة نائب واليه على مصر اليوس جالوس في عام ٢٥/ ٢٤ ق.م [(٢)] وليحذوا حذو الإسكندر المقدوني الذي أرسل حملة عسكرية استكشافية إلى صحراء مأرب، لكنها باءت بالفشل للأسباب التالية:

١. عدم جدية الإمبراطور أغسطس في إرسال حملة عسكرية ضخمة مجهزة بأحدث التجهيزات آنذاك من العدة والعتاد، حيث يذكر الكتاب الكلاسيكيون ومن

---

(١) الناصري، سيد أحمد: تاريخ الإمبراطورية الرومانية. دار النهضة العربية. القاهرة، ١٩٧٨م. ط٣. ص٥٩.

(٢) الجرو، أسماء: دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم. دار الكتاب الحديث. القاهرة، ٢٠٠٣م. ص٣٢ و٣٣ و٦٤ و١١٣.

بينهم مؤرخ الحملة استرابون أن اليوس جالوس جهزها بشكل متواضع، فسرعان ما غرقت نصف سفنها في عرض البحر، والتي كان معظمها لنقل الركاب والجنود وليست حربية جرّاء العواصف والقراصنة المنتشرين في المنطقة. أما القوات البرية والتي اجتازت الحجاز انطلاقًا من ميناء لوكي كومي (ينبع) حتى وصولها إلى أطراف مأرب؛ فكان معظم جنودها من الرومان يشاركهم ألف جندي من مملكة الأنباط وخمسمائة جندي من دولة المكابيين اللتين تنافستا فيما بينهما لتمويل وتقديم يد العون للحملة السالفة الذكر لكسب ثقة الإمبراطورية الرومانية التي تأسست عام ٢٧ ق.م[١].

٢. لم يستفد الرومان أيما استفادة مما خلفه أسلافهم البطالمة من إنجازات جوهرية في مجال التجارة والملاحة البحرية في البحرين الأحمر والعربي، وأدت إلى انتزاع ريادتها من أيدي اليمنيين القدماء، فلم يستخدموا مستوطناتها ومستعمراتها المنتشرة على طول الساحل اليمني وجزره ولاسيما جزيرة سقطرى ويستغلوا إمكانياتها التجارية والعسكرية لتحقيق أهدافهم في السيطرة على الممرات المائية في المنطقة وبسط نفوذهم على جنوب الجزيرة العربية تدريجيًا ولاسيما على الأقاليم والمدن الواقعة على طريق البخور التجاري[٢].

٣. انشغالهم بتوطيد وجودهم النهائي على مصر والسيطرة على الأقاليم والبلدان المجاورة لها لضمان حماية عمقها الاستراتيجي وتحديدًا من مملكة مروي في السودان التي أرسلوا إليها العديد من الحملات العسكرية الواحدة تلو الأخرى؛

(١)الناصري: تاريخ الامبراطورية الرومانية. ص٢٤.

(٢)الشيبة، عبدالله حسن: دراسات في تاريخ اليمن القديم. مكتبة الوعي الثوري. تعز، ٢٠٠٠م. ص٢٤، ١٦٨.

لإخضاعها بعدما رفضوا عرض الوالي الروماني على مصر لهم بعقد معاهدة بينهم تقتضي أحد مواده دفع جزية أو خراج سنوي مقابل حمايته لهم مما اعتبروه نوعًا من بسط السيادة الرومانية عليهم، ولكن جميعهن بئن بالفشل رغم الإمكانيات الهائلة التي رصدت لهن، ومن بينها حملتان عسكريتان أرسلهما والي مصر بترونيوس واللتان تزامنتا مع حملة نائبه اليوس جالوس إلى اليمن (١)، في الأولى هزموا هزيمة نكراء، وفي الثانية استطاعوا تحقيق النصر على حساب الجيش المروي التي اضطرت ملكته كنداكة -كما تقول المصادر الكلاسيكية- إلى إبرام اتفاقية السلام معهم في جزيرة ساموس (٢) عام ٢١ ق.م تجنبًا لسقوط بلدها تحت نير الاحتلال الروماني (٣).

٤. سوء الإدارة والتخطيط العسكري الناتج عن إعداد الحملة المذكورة سلفًا بشكلٍ فجائي وغير مدروس.

٥. هزيمتهم القاسية أمام الجيش السبئي في المعركة الحامية الوطيس التي دارت بين الطرفين عند أسوار مدينة مأرب العاصمة.

٦. عدم الاستفادة من المكاسب التي حققها الرومان على أرض الواقع من وراء حملتهم العسكرية عام ٢٤ ق.م حيث انسحبوا من المدن والأقاليم التي استولوا عليها خلال سيرهم إلى مأرب كنشق ونشان في الجوف، إضافة إلى عدم استغلال

---

(١) بكر، محمد توفيق: تاريخ السودان القديم. مكتبة الانجلو المصرية. القاهرة، ١٩٨٤م. ص١٥٧.

(٢) هي جزيرة يونانية تقع في بحر ايجه شرق شبه جزيرة البيلوبونيز، انظر كتاب (تاريخ مصر والسودان) ل د/ عارف احمد اسماعيل. ص٢٤٢.

(٣) اسماعيل، عارف احمد: تاريخ مصر والسودان. دار الشوكاني للطباعة والنشر. صنعاء، ٢٠٠٤م. ص٢٤٢.

الصراعات الداخلية التي بدأت تعاني منه الدولة السبئية آنذاك، فضلًا عن عدم استفادتهم من استخدام القوى القديمة المنافسة لسبأ خلال القرن الأول قبل الميلاد كالقتبانيين والحضارم [1] مما يبرهن لنا على غياب الرؤية الاستراتيجية لتدخلهم العسكري إليها في ذلك الحين.

و قد دفعتهم هذه التجربة المريرة إلى حجب منطقتي جنوب الجزيرة العربية والبحر الأحمر من دائرة اهتماماتهم وسلّم أولوياتهم الاستراتيجية على الصعيدين السياسي والعسكري مؤقتًا، واكتفوا بتحصين حدود الولايات والممالك التابعة لهم المجاورة لكليهما حيث انشغلوا بتوطيد أركان دولتهم في ولاية سوريا ولاسيما بعدما نجح الإمبراطور تراجان في ضمّ دولة الأنباط إليها وتحويلها إلى مقاطعة رومانية باسم الولاية العربية عام ١٠٦م [2] مرورا بسعيهم الدؤوب نحو الحفاظ بقوة على ممتلكاتها في شمال أفريقيا وأوروبا ضدّ أيّ ثورة أو حركة انفصالية لأيٍّ من ولاياتها سيما بعد انتشار أتباع الديانتين السماويتين اليهودية والمسيحية في أرجائها رغم قمع الحركات السلمية للمسيحيين في موطنهم الروحي والأم فلسطين، وأيضا أوروبا في عهد الإمبراطور نيرون والثورات المسلحة لليهود خلال عهدي خليفتيه تراجان عام ١١٥م [3] هادريانوس عام ١٣٢م، ثم انشغالهم بالصراعات الداخلية في روما وخارجها سعيًا وراء السلطة والحكم مما تسبب بانقسام الجيش وانفراط عقده جراء تنازع قادته حول عرش الإمبراطورية العتيدة التي وهن جسدها المترهل والمثخن بالجراح والمشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي زادت من أعبائها الملقاة على عاتقها حتى بعد نجاحهم في القضاء على مملكة تدمر على يد

---

(١)الشيبة: دراسات في تاريخ اليمن القديم. ص٢٣ و٢٤.

(٢)الناصري: تاريخ الامبراطورية الرومانية. ص٢٤٤.

(٣)الناصري: تاريخ الامبراطورية الرومانية. ص١٦٣ و٢٤٤ و٢٤٥ و٢٥٧ و٣٧٢ و٣٧٦.

الإمبراطور أوريليانوس (٢٧٠ – ٢٧٥ م) وأطماعها التوسعية الرامية للاستيلاء على ولاياتها في سوريا ومصر وليبيا، ووصل الأمر بالإمبراطور دقلديانوس إلى حد تقسيمها إلى أربعة أقسام إدارية كبرى لتسهيل مهمة حكم أراضيها الشاسعة والمترامية الأطراف يديرها أربعة أباطرة شركاء فيما بات يعرف بالحكم الرباعي (٢٩٢ – ٣١٢ م)، وكان من بينهم ولده الإمبراطور قسطنطينيوس الأول مؤسس الإمبراطورية البيزنطية عام ٣١٢م [١]... وغيرها من الأحداث التاريخية الكبرى التي شغلتهم عن المنطقة السالفة الذكر حتى عادت إلى دائرة اهتماماتهم أواخر القرن الثالث الميلادي ومطلع القرن الرابع الميلادي وذلك إثر صعود قوتين جديدتين على الساحة الدولية [٢] وهما حمير في جنوب شبه الجزيرة العربية وأكسوم في القرن الأفريقي[٣]، ورأوا فيها فرصة ذهبية لا تعوّض لمدّ جسور التواصل معهما وضمّهما إلى معسكرهم حتى يقطعوا الطريق على أعدائهم اللدودين الفرس الساسانيين، وقد بدأت أولى الخطوات العملية لتحقيق ذلك التقارب في عهد الإمبراطور قسطنطينيوس الأول (٣٠٦ – ٣٣٧م [٤]) وولداه كونستانس (٣٣٧ – ٣٥٣ م) وقسطنطيوس (٣٥٣ – ٣٦٠ م [٥]) والتي ارتكزت على ثلاثة محاور أساسية:

---

(١) هني، ج. م: العالم البيزنطي، ترجمة: رافت عبدالحميد. مكتبة سعيد رأفت. القاهرة، ١٩٩٧م. ص١٦.

(٢) غالب، مهيوب احمد: العلاقات – الحبشية. مجلة بينون، العدد الاول. جامعة ذمار، ٢٠٠٤م. ص٣٣.

(٣) ميكوريا، تكلي صادق: اكسوم المسيحية – تاريخ افريقيا العام، ترجمة: جمال مختار، جين افريك، مج٢. اليونسكو. باريس، ١٩٨٥م. ص٤١٢.

(٤) الناصري: تاريخ الامبراطورية الرومانية. ص٤٥٤ – ٤٥٥.

(٥) شيبمان، كلاوس: تاريخ الممالك القديمة في جنوبي الجزيرة العربية. المركز اليمني للدراسات والبحوث. صنعاء، ٢٠٠٢م. ص٨٠ – ٨٢.

٧. ديني: حيث سعى إلى نشر المسيحية والتبشير بها في البلدين المذكورين سلفًا بعدما رأى بأم عينه النتائج الإيجابية التي ساهمت في الحفاظ على وحدة الإمبراطورية الرومانية إثر انتصاره على شريك والده في الحكومة الرباعية جاليريانوس عام ٣١٦م فخليفته ماكسيمينوس الذي تبنى الدين الجديد في مناطق حكمه عام ٣١٩م [١] ولاسيما في ضمان ولاء سكان الولايات المتمردة الواقعة في الشطر الغربي من الإمبراطورية الرومانية الكامل له على الرغم من أن أباطرتها كانوا يشاركونه في الحكم دون أن يتمكن من التفرّد بصنع القرار السياسي فيها، فأرسل البعثات التبشيرية بكثافة والتي لم تكن تستهدف عامّة الناس بقدر ما كانت تستهدف النخبة الحاكمة أيضًا، فقد ذكرت المصادر الكلاسيكية إنشاءه كنائس في عدن عام ٣٥٦م بموافقة الملك الحميري ملكيكرب بن ثأران يهنعم واستقبال الملك الأكسومي عيزانا للمبشرين القادمين من مصر تحت رعاية حكامها الرومان[٢].

٨. اقتصادي: سعى إلى عقد الاتفاقيات مع كلا البلدين، والتي من خلالها أعطت حكومته العديد من الامتيازات والتسهيلات التجارية للصادرات الحميرية والأكسومية التي تشكلان حوالي ٨٠٪ من واردتها الرئيسية كاللبان والمر والجلود والعاج والرقيق، فضلًا عن ضخّ العديد من الاستثمارات التجارية في كافة المجالات الحيوية داخل الموانئ الرئيسية والأسواق التجارية على طول طريق البخور التجاري عبر تجارها المقيمين فيهما والمتمثل في إنشاء المتاجر

(١) الناصري: تاريخ الامبراطورية الرومانية. ط٣. ص٢٦٥.

(٢) الجرو: دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم. ص٧١ – ٧٢.

والأحياء وأسواقهم التجارية وبيوتهم المالية المقامة في أملاكهم العقارية الخاصة بهم هناك.

٩. عسكري: في حال نجاح المحورين السابقين في تحقيق الأهداف المرجوة منها في المرحلة الأولى؛ يبدأ في المرحلة الثانية إلى إقامة التحالفات العسكرية مع البلدين ودعمهما بالمال والسلاح إذا في حال تعرضهما لأخطار داخلية وخارجية تهدد وجودهما السياسي.

بدأ يتلمس نتائج مشروعه المذكور أعلاه وتحديدًا في أكسوم التي أقبلت نخبته الحاكمة وعلى رأسها الملك عيزانا على اعتناق المسيحية دينًا رسميا للدولة عام ٣٥٤م؛ سعيًا وراء دعم بيزنطة العسكري في توسيع حدود إمبراطوريته لضم الممالك الواقعة شمال وغرب الحبشة، إلا أنه أصيب بخيبة أمل في ضم الحميريين إلى صفه الساعين في الوقت ذاته إلى تكوين إمبراطوريتهم الكبرى والتي وصلت إلى حدود العراق والشام في عهد ملكهم شمّر يهرعش الذي ما انفك يرسل حملات عسكرية متواصلة اجتاحت عمان والحجاز والسواحل الشرقية للخليج العربي وصلت مداها في حدود العام ٣٧٥م إلى تخوم العراق وبلاد الشام مشكلين ثالث إمبراطورية في المنطقة إلى جانب الفرس والروم (١) وتنافسهما في السيطرة عليها على المستويين السياسي والاقتصادي، مما دفع الإمبراطور فالنس (٣٦٥ – ٣٧٨م (٢)) إلى مواجهتهم بصرامة شديدة وإعلان الحرب عليهم (٣) و وضعهم مع الفرس

(١) الجرو، أسمهان: مصادر تاريخ عمان القديم. الشركة العربية للنشر. عمان، ٢٠٠٩م. ص٩٥.

(٢) الناصري: تاريخ الامبراطورية الرومانية. ص٤٦١.

(٣) الجرو: مصادر تاريخ عمان القديم. ص٩٥.

الساسانيين في خانة الأعداء التقليديين لدولته[1]، دون أن تتأثر العلاقات التجارية بين بيزنطة واليمن بها سلبًا كما هو متوقع نتيجة تحالف بيزنطة مع أكسوم عسكريًا وسياسيًا واقتصاديًا في تلك الفترة[2]، إضافةً إلى انشغاله بهجمات القبائل الجرمانية القادمة من الشطر الغربي؛ ولاسيما القوط الغربيين الذين استولوا على عرشها إثر استيلاء الهون[3] بقيادة ملكهم اتيلا على مملكتهم عام ٣٧٣م، فضلًا عن الصراعات المذهبية التي اشتعلت في ولايتي سورية ومصر إثر قيام مجمع نيقوميديا الديني عام ٣٢٥ م بين أتباع المذهبين المينوفيزي والنسطوري والذي استفحل أمره خلال عهد خليفته ثيودسيوس الأول (٣٧٨ – ٣٩٥م[4]) إثر قرارات مجمع القسطنطينية الديني عام ٣٨١م والتي عرفت بالأقانيم السبعة أعطت الشرعية الحصرية للكنائس الغربية ككنيستي روما والقسطنطينية على حساب نظيراتها الشرقية، إلى جانب إخضاعه للقوط الغربيين إثر انتصاره عليهم في معركة ادريا نوبل عام ٣٧٨م لينعم الشطر الشرقي للإمبراطورية الرومانية باستقرار نسبي في عهده واركاديوس (٣٩٥ – ٤٠٨م) تاركًا نظيره الغربي الذي أضحى منفصلًا عن الشرقي من الناحيتين الإدارية فريسةً للفوضى السياسية والحروب الأهلية وغزوات القبائل الجرمانية بكافة انتماءاتها المناطقية من قوط شرقيين وغربيين ولومبارديين وقبائل الهون[5].

---

(١) ربيع، محمود حسنين: دراسات في الدولة البيزنطية. مكتبة الانجلو المصرية. القاهرة، ١٩٨٤م. ص٥٧ – ٥٨.

(٢) الجرو: دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم. ص٧٢.

(٣) الهون هم قبائل من السلافيين الرحل قدموا من سهوب اسيا الوسطى الى وسط اوروبا خلال القرن الثالث الميلادي وقد اختلف المؤرخين حول اصولهم، فالبعض يرجعهم الى المغول والبعض الاخر يرجعهم الى الروس وهم على حسب ما يعتقد اسلاف الشعب المجري، اقرا (عالم المعرفة)، المجلد الثالث، تحرير: يوسف غالي. ص١٢٠.

(٤) الناصري: تاريخ الامبراطورية الرومانية. ص٤٦٢ و٤٦٦.

(٥) هني: العالم البيزنطي. ص٩٨ و١٠٠ و١٠٤.

ودون أن نغفل أيضًا الحرب الدائرة بينهم والفرس الساسانيين وحلفائهم المناذرة الذين كانوا يحتكرون طريق الحرير البري والتجارة مع الهند عبر الخليج العربي الخاضع لنفوذهم السياسي والعسكري، ولهم ضلع في دعم الولايات المتمردة، ويدخل الصراع مرحلة جديدة في تلك الفترة بمساعي الفرس الحثيثة والمستمرة منذ عهد قسطنطينيوس الأول لانتزاع أرمينيا والقوقاز[١] من قبضة البيزنطيين[٢]، فضلًا عن تغلغل نفوذ الجرمان في مؤسسات الدولة البيزنطية آنذاك؛ ولاسيما الحكومة والجيش[٣]، ومع ذلك فلم تؤثر هذه الأحداث على بنية الإمبراطورية السياسية والاقتصادية، وزادت من تماسكها أكثر من ذي قبل، فامتلاكها لولايات غنية بالثروات الطبيعية والبشرية ولاسيما في شمال إفريقيا ضمن لها موردًا لا ينضب من الضرائب والعائدات المالية، كما أن تطبيق نظام دولة المؤسسات المدنية والعسكرية منذ عهد قسطنطينيوس الأول أدى إلى تماسك الجبهة الداخلية للدولة أكثر من ذي قبل، إلى جانب أنه يؤثر سلبًا على تحالف البيزنطيين مع أكسوم والتي شهدت قمة ازدهارها على كافة الأصعدة، فعلى الصعيد السياسي؛ ظلت تدعم الملك عيزانا في توسعة إمبراطوريته صوب الغرب وعلى حساب ممالك جنوب السودان والقرن الإفريقي كانت وقعت معاهدات وتحالفات مع الرومان كما أسلفنا من قبل[٤].

---

(١) الناصري: تاريخ الامبراطورية الرومانية. ص٤٧٥.

(٢) هني: العالم البيزنطي. ص٩٨.

(٣) الناصري: تاريخ الامبراطورية الرومانية. ص٤٧٦.

(٤) رنيسمان، ستيفن: الحضارة البيزنطية، ترجمة: عبدالعزيز جاويد. الهيئة المصرية للكتاب. القاهرة، ١٩٩٧م. ص ٣٦٩ – ٣٧٠.

الإمبراطورية الفارسية:

ولم تكن الإمبراطورية الفارسية بدورها بعيدة كل البعد عن منطقة البحر الأحمر ومضيق باب المندب بغية السيطرة عليها لتحقيق أطماعها التوسعية هناك أيضًا، فلقد كانت تتحكم خلال عهد الفرثيين بسير التجارة البرية عبر طريق الحرير السالف الذكر(1) والبحرية عبر الخليج العربي، إلا أنها كانت معتمدة في ذلك على دول تابعة لها معظمها ينتمي إلى أعراق وشعوب مختلفة كميديا وعيلام وأرمينيا وميسان(2) وجرها والحضر، إلا أن الضعف الذي بدأ يدبّ في أركان الإمبراطورية الفرثية أواخر القرن الثاني الميلادي نتيجة الصراعات الداخلية حول مؤسسات الدولة الإدارية والتي نشبت إثر وفاة الملك ولجش الأول عام ٥١م(3) مما أعطى لأعدائهم الرومان الفرصة لاستغلال الوضع السيئ الذي كانوا يمرون به، وأفسح المجال للقضاء عليها والاستيلاء على أراضيها المجاورة لدولتهم وبسط سيطرتهم على العراق وأرمينيا أولًا، ثم التحكم بطرق التجارة الحيوية الواقعة شرق المتوسط، فأرسلوا العديد من الحملات العسكرية، وخاضوا المعارك الحربية الحامية الوطيس تحت ستار دعم الثورات الانفصالية التي اندلعت في المدن والدول الفرثية مطلع القرن الثاني الميلادي وحتى مطلع القرن الثالث الميلادي كأشور والرها والحضر وتدمر (انظر الخريطة رقم ١)(4) عامي ١١٤ – ١١٦م(5)، وعلى الرغم من أن الأخيرة بدورها رفضت الخضوع للحكم الروماني؛ إلا أن هذا لم يشفع لهم عند الفرثيين الذين بدأوا

---

(١) الصالحي، واثق: الفرثيون (خ). ص٣٤.

(٢) الصالحي، واثق: نشوء وتطور مملكة ميسان. مجلة المورد، العدد الثالث. بغداد، ١٩٨٦م. ص١٧ – ١٨.

(٣) الصالحي: الفرثيون (خ). ص٢١.

(٤) الناصري: تاريخ الامبراطورية الرومانية. ص٣٧٠.

(٥) الصالحي، واثق: الحضر والضيزن. افاق عربية، السنة العشرون. بغداد، ١٩٩٥م. ص٤٧.

يصبّون جام غضبهم عليهم ولاسيما على المدن التي استلموها من الغزاة بموجب معاهدة عقدت بين ملكهم خسروا والإمبراطور هادريان عام ١١٧م وينقلبون على كثير من الامتيازات الإدارية الممنوحة لها من قبل والمنبثق من نظامهم الفيدرالي(١) ولكن بعد خراب البصرة(٢)، فسرعان ما وصل هدير النزعة الانفصالية إلى قلب الدولة الفرثية وتحديدا إقليم فارس على يد حاكمه أردشير بن بابك بن ساسان الذي ثار عليها احتجاجًا على رفضها تحويل منطقته إلى دويلة ذات حكم ذاتي أسوة بمثيلاتها في عيلام وباكتريا وميديا وسعيًا إلى إعادة أمجاد الفرس وإمبراطوريتهم العظيمة حسب رأيه وتحريرها من العناصر الأجنبية التي تعاقبت على حكم الإقليم المذكور سلفًا منذ أن انتصر الإسكندر المقدوني على أسلافهم الاخمينيين(٣) حتى مطلع القرن الثالث الميلادي مستفيدًا من الهزائم المتلاحقة التي ألحقها بهم الإمبراطور الروماني كارا كالا ضد آخر ملوكهم أرطبان الخامس (١٩٩ – ٢٢٧م) أضعفت الجيش الفرثي كثيرا حتى بعد إبرام معاهدة الصلح الأخيرة بين الطرفين عام ٢١٧م(٤)، فضلًا على أن الفرس كانوا يشكّلون العنصر الرئيسي، فهجم على عاصمتهم طيسفون واقتحمها بعد معركة دامية قتل فيها عام ٢٢٦/ ٢٢٧م معلنًا قيام دولته الجديدة فيما باتت تعرف بالإمبراطورية الساسانية(٥) ليبدأ معها فصل جديد من فصول الصراع الفارسي – الروماني على المنطقة حيث اتسم نهجها السياسي بالطابع الديني والقومي

---

(١) الصالحي: الفرثيون (خ). ص٢٣.

(٢) مثل عربي يعبر عن فوات الاوان، وتعود قصته الى زمن الخليفة المعتمد بالله العباسي الذي استعاد مدينة البصرة من قادة ثورة الزنج الذين خرجوا عن طاعته ولكن بعد تخريبها واحراقها على ايديهم، اقرا كتاب (الاعلام) لخير الدين الزركلي، ج١. ص١٠٦.

(٣) ولبر، دونالد: ايران..... ماضيها وحاضرها، ترجمة: عبد النعيم محمد حسنين. دار الكتاب اللبناني. بيروت ؛ دار الكتاب المصري. القاهرة، ١٩٨٥م. ط٢. ص٤٢.

(٤) الصالحي: الفرثيون. ص٢٤.

(٥)الصالحي: الحضر والضيزن. ص٤٧.

العنصري ضد أي شيء لا يمت بصلة للفرس وديانتهم الزرادشتية وتحديدًا القبائل العربية، فضلًا على نزوعها إلى النظام المركزي بدلًا من نظيره الفيدرالي في إدارة ولاياتها والذي اتضحت معالمه الأولى إثر إخضاعه لمملكة ميسان(1) من منطلق أنها أكثر نجاعة وفعالية في الحفاظ على وحدة التراب الساساني من أي محاولة لتفكيكها داخليًا كان أم خارجيًا، وقد ظهر جليا خلال عهد سابور الأول (٢٤٠ – ٢٧٢م) الذي سعى منذ توليه الحكم إلى إخضاع الممالك العربية المستقلة استقلالًا ذاتيًا منذ العصر الفرثي وبالأخص الواقعة على الطرق التجارية(2) فقضى على مملكة الحضر عام ٢٤١م ودمرها تدميرا هائلا بعد حصار طويل دام سنتين، ثم هاجم الولايات الرومانية في سوريا وآسيا الصغرى بعدما علم بدعم الرومان المباشر واللامحدود للدول والمدن الثائرة على الحكم الساساني بعد سقوط الحضر وتحالف تدمر(3) مع الرومان عام ٢٦٧م، وحققت حملاته العسكرية السالفة الذكر انتصارات كبيرة وصلت إلى حد أسر الإمبراطور فاليريانوس في إحدى المعارك عام ٢٦٨م مستفيدًا من حالة الضعف الذي اعتراهم آنذاك(4)، إلا أنه سرعان ما بدأت القلاقل والصراعات الداخلية تعم أرجائها والأخطار الخارجية تهددها من قبل الدولتين البيزنطية والحميرية أواخر القرن الثالث الميلادي(5) بعد أن تولى زمامها حكام أو أباطرة ضعاف لم يعمروا طويلا بدءًا من هرمز الأول (٢٧٢ – ٢٧٣م) حتى هرمز الثاني (٣٠٢ – ٣١٠م(6))

---

(١) الصالحي: مملكة ميسان. ص١٧.

(٢) الصالحي: الحضر والضيزن. ص٤٩.

(٣) بهنسي، عفيف: تدمر بين عمارة البشر وجن سليمان. مجلة العربي، العدد ٢٧٧. الكويت، ١٩٨١م. ص١١٣.

(٤) الناصري: تاريخ الامبراطورية الرومانية. ص٣٦٦ – ٣٧١.

(٥) الجرو: مصادر تاريخ عمان القديم. ص٩٢ – ٩٤.

(٦) كريستنس، آرثر: ايران في عهد الساسانيين، ترجمة: يحيى الخشاب ؛ عبدالوهاب عزام. دار النهضة العربية. بيروت، ١٩٨٢م. ص٢١٦ – ٢١٧.

قبل أن تستعيد توازنها مطلع القرن الرابع الميلادي في عهد سابور الثاني المعروف لدى الإخباريين العرب بسابور ذو الأكتاف (٣١٠ – ٣٧٠ م[١]) الذي لم يأل جهدًا في استعادة ولايات أرمينيا والقوقاز[٢] من الرومان والخليج العربي من أيدي الحميريين حيث أرسل العديد من الحملات العسكرية إلى الممالك الواقعة هناك والتي أقامتها القبائل العربية القادمة معظمها من جنوب شبه الجزيرة العربية[٣]، وقمع بوحشية دموية من رفض الخضوع له كمملكة الضيزن في الحضر[٤] والأزد في عمان[٥] واللخميين في الحيرة مما دفع العرب المقيمين في العراق أن يعلنوا ولاءهم للفرس الساسانيين ويتحول إلى دولة تابعة لهم عرفت باسم المناذرة[٦] بناءً على العوامل التالية:

١. ضمان ولاء القبائل العربية المهاجرة إلى العراق للإمبراطورية الفارسية عبر دولة منبثقة منهم تكون حلقة وصل بينهم وبين الفرس الساسانيين.

٢. صد هجمات القبائل العربية المغيرة على الحدود الجنوبية الشرقية للإمبراطورية الفارسية.

---

(١) لقب بهذا اللقب الغريب حسب راي الاخباريين العرب لأنه كان يخلع اكتاف الملوك المهزومين على يديه ويعلقها على احدى جدران قصره، اقرا كتاب (الاعلام) لخير الدين الزركلي، ج٣. ص٢١٦.

(٢) الناصري: تاريخ الامبراطورية الرومانية. ص٤٥٥.

(٣) الصالحي: الحضر والضيزن. ص٤٩.

(٤) الزركلي: الاعلام، ج٣. دار العلم للملايين. بيروت، ١٩٨٠م. ط٦. ص٢١٦.

(٥) الجرو: مصادر تاريخ عمان القديم. ص٩٩.

(٦) سالم: تاريخ العرب قبل الاسلام. ص ٢٢٨ – ٢٢٩.

٣. مشاركتها في تحمل العبء الأكبر من حملاتها العسكرية والقتال الميداني ضد الإمبراطوريتين الرومانية والحميرية[١].

٤. القضاء على أي محاولة للانفصال عن الإمبراطورية الفارسية من قبل سكان ولاياتها المحليين سواء في العراق أو في الخليج العربي.

و أثمرت جهود سابور الثاني وخلفائه الذين ساروا على نهجه كأردشير الثاني (٣٧٩ – ٣٨٣م) وبهرام الخامس (٤٢١ – ٤٣٨م) ويزدجر الثاني (٤٣٨ – ٤٥٧م) وقباذ الأول (٤٨٨ – ٥٣١م) عن جعل الإمبراطورية الفارسية أقوى من ذي قبل على كافة الأصعدة السياسية والاقتصادية والعسكرية يفوق نظيرتها البيزنطية آنذاك، إلى جانب قدرتهم على انتزاع العديد من السواحل الغربية للخليج العربي[٢] باستثناء عمان[٣] والسواحل الشمالية والشرقية للإمارات على خليج عمان والخليج العربي[٤] من قبضة الحميريين خلال القرن الرابع الميلادي[٥] ودون أن يؤثر سلبًا على العلاقات الاقتصادية التي ازدهرت بين الطرفين منتصف القرن الخامس الميلادي[٦]، كما كان لها موضع قدم في مملكة أكسوم منذ القرن الرابع

---

(١) الاحمد، سامي سعيد: تاريخ الخليج العربي من اقدم الازمنة حتى التحرير العربي. مطبعة جامعة البصرة، ١٩٨٥م. ص٣٧٥.

(٢) النعيم، نورة: الوضع الاقتصادي للجزيرة العربية من القرن الثالث قبل الميلاد الى القرن الثالث الميلادي. دار الشواف للطباعة والنشر والتوزيع. الرياض، ١٩٩٢م. ص٥٧.

(٣) الجرو: مصادر تاريخ عمان القديم. ص٩٨ – ٩٩.

12. –(Ir 28/11 4(

(٥) الاحمد: تاريخ الخليج العربي من اقدم الازمنة حتى التحرير العربي. ص٣٧٥.

(٦) شيبمان: تاريخ الممالك القديمة. ص١٢٠.

الميلادي دون تتجاوز العلاقات بينهما حدود المجال الاقتصادي[1]، ودون أن توقف حدة المنافسة التجارية بينهما حول السواحل المطلة على المحيط الهندي[2].

اليمن:

ظهرت حمير كقوة صاعدة في الساحة اليمنية القديمة يحسب لها ألف حساب عام ٢٧٥م بعدما كانت مجرد إقليم تابع لمملكة قتبان يقع في وادي ميفعة ويمتد حتى ساحل محافظة شبوة والمجاور لمملكة حضرموت (انظر الخريطة رقم ٢) التي سرعان ما استطاعت منذ القرن الأول الميلادي الاستيلاء تدريجيا على سبأ أكبر الممالك اليمنية القديمة آنذاك على الرغم من أن سبأ ساعدتهم في التحرر من الحكم القتباني المذكور أعلاه[3] وخلعت آخر ملوكها نشا كرب يامن يهرجب (٢٦٠ – ٢٧٥م)[4] على يد ياسر يهنعم أو ناشر النعم الذي استولى على عاصمتها مأرب عام ٢٧٥م[5] بعد أخذ ورد بين الطرفين المتنازعين تخللتها مصالحات واتفاقيات سلام مؤقتة على إثر الحملة الرومانية الفاشلة على اليمن بقيادة اليوس جالوس وبالتالي ساهم إلى استفحال حدة الصراع الداخلي في مملكة سبأ بين البيت الحاكم المنحدر من قبيلة فيشان وشركائهم في السلطة من القبائل الكبرى حول العرش السبئي منذ القرن الأول الميلادي ألا وهم:

(Marcus: history of Ethiopia. p7. 1(

(٢) الاحمد: تاريخ الخليج العربي. ص٣٧٨.

(٣) شيبمان، كلاوس: تاريخ الممالك القديمة في جنوبي الجزيرة العربية. ص٨٠ – ٨٢.

(٤) الناشري، علي محمد: ذو جرة ودورهم في حكم سبا وذي ريدان. وزارة الثقافة والسياحة. صنعاء، ٢٠٠٤م. ص١٣٠.

(٥) حبتور، ناصر: اسماء اعلام الافراد في نقش عبدان، العددان ٣٣ – ٣٤. مجلة الاكليل. صنعاء، ٢٠٠٩م. ص٥٩.

١. قبيلة همدان المتمركزة في منطقة ناعط، واستطاعت الاستيلاء على العرش عبر ملكها علهان نهفان.

٢. قبيلة بتع في منطقة شبام الغراس وانتزعت العرش من سيطرة الهمدانيين على يد ملكها شاعرم اوتر.

٣. قبيلة ذو جرة المقيمة في جبل كنن وكثير من أبنائها كانوا يشكلون العمود الفقري للجيش السبئي ونجحوا في الوصول إلى سدة الحكم عبر ملكها فارع ينهب، وينتمي إليها الملك نشأ كرب يهأمن يهرجب(١). كما اشتركت في النزاع المذكور آنفا حضرموت(٢) وقتبان دون أن يمنع سقوطهما وممتلكاتهم في عمان وواحة البريمي(٣) لاحقًا بيد الحميريين في الفترة الممتدة من ٢٧٥ م و٣٥٥ م(٤) ليتم توحيد البلاد بأكملها تحت لوائهم(٥). وعلى الرغم من أنّ الدولة الحميرية ظلّت محتفظة بقوتها كدولة عظمى خلال عهود ملوكها شمر يهرعش (٢٩٠ – ٣١٠م)(٦) ملكيكرب بن ثأران يهنعم (٣٥٥ – ٣٧٨م) فخليفته أبكرب أسعد أو أسعد كرب (٣٧٨ – ٤١٥م) وحفيديه شرحبيل يعفر (٤١٥ – ٤٥٠م) وعبد كلال بن مثوب (٤٥٠

(١) شيبمان، كلاوس: تاريخ الممالك القديمة في جنوبي الجزيرة العربية. المركز اليمني للدراسات والبحوث. صنعاء، ٢٠٠٢م. ص٨٠ – ٨٢.

) 2(Sh49/12 – 15.

(٣) الشيبة، عبدالله: ترجمات يمانية. دار الكتاب الجامعي. صنعاء، ٢٠٠٨م. ص٣٥ – ٣٦.

5. –(Res 483/3 4(

(A1100/7. 5(

(٦) الشيبة، عبدالله: ترجمات يمانية. دار الكتاب الجامعي. صنعاء، ٢٠٠٨م. ص٣٥ – ٣٦.

– ٤٥٧م) حسان يهأمن (٤٥٧ –٤٧٧م)[١] إلا أن سرعان ما بدأ السوس ينخر في عظامها العتيدة منذ مئات السنين ولاسيما منذ بدء التوسع الإمبراطوري خارج حدودها إلى أقصى شمال الجزيرة العربية حتى السواحل الشرقية لإفريقيا على المحيط الهندي[٢] والذي يعد مؤشرًا لبداية النهاية لسقوط أيّ حضارة عريقة كما يذكره آرنولد توينبي في نظريته المشهورة (التحدي والاستجابة)[٣]، وهذا ينطبق معها تمامًا التي بدأت إمبراطوريتها تتلاشى تدريجيا لتقف حدودها السياسية عند إقليم نجد[٤] ووادي الدواسر منتصف القرن الخامس الميلادي[٥] للأسباب التالية:

١. الثورات والتمردات التي قادتها القبائل المضرية العدنانية في شمال الجزيرة العربية والبحرين[٦] ضدهم بدعم من الفرس الساسانيين[٧].

٢. تمرّد ملوك كندة على سادتهم الحميريين الذين أنشأوا دولتهم في دهرها الثاني مطلع القرن الخامس الميلادي كدولة حاجزة (buffer state) على حدود إمبراطوريتهم المحاذية آنذاك لبادية العراق أسوة بالمناذرة والغساسنة[٨]، وإن

---

(١) السقاف، حمود محمد: ملوك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت. مركز عبادي للدراسات والنشر. صنعاء، ٢٠٠٥م. ص٥٣.

(٢) فخري، احمد: رحلة إلى اليمن. وزارة الثقافة والسياحة. صنعاء، ٢٠٠٤م. ص ١٣١.

(٣) اسماعيل، عارف احمد: محاضرات في فلسفة التاريخ. دار الكتاب الجامعي. صنعاء، ٢٠٠٧م. ص٥٧ – ٥٨.

(٤) الجرو، أسماء: موجز التاريخ السياسي لشبه الجزيرة العربية. مطبعة جامعة عدن للطباعة والنشر. عدن، ٢٠٠٢م. ص ٢٤٠.

(٥) عاقل، نبيه: تاريخ العرب القديم وعصر الرسول. دار الفكر. بيروت، ١٩٧٢م. ط٢. ص٢٠٨- ٢٠٩.

(٦) الاحمد: تاريخ الخليج العربي. ص٣٧٤.

(٧) الصالحي: الحضر والضيزن. ص٤٩.

(٨) عاقل: تاريخ العرب القديم وعصر الرسول. ط٣. ص٢٠٨.

كانت بعض النقوش المسندية التي تعود إلى القرن الثالث الميلادي صدرت في عهدي أيل شرح يحضب ملك سبأ(١) وشمر يهرعش(٢) تذكر بأنها كانت دولة مستقلة وتأسست على يد امرؤ القيس بن عمرو الكندي والذي يعتقد بأنه صاحب نقش النمارة الشهير(٣)، بدأت تظهر ملامحها في عهد آخر ملوكها حجر بن الحارث أو المنذر بن الحارث (٠٠٠ – ٥٢٢م)(٤) الذي سعى إلى توسيع مملكته بالتدريج على حساب دولة المناذرة(٥) وعبر انتزاع الولايات الحميرية الواقعة قرب حدود الإمبراطورية الفارسية أيضًا(٦) مستغلًا الأوضاع الداخلية المتفاقمة في حمير آنذاك. وعلى الرغم من أن كليهما تنحدر أصوله من اليمن إلا أنهما يختلفان في تكويناتهما القبلية والمناطقية(٧).

---

(١) عنان١٦، السطور ١ – ٧.

12. –(A 1100/7 2(

6. -(Ry 510/ 13(

8. –(Ry 510/ 5 4(

(٥) عاقل: تاريخ العرب القديم. ط٣. ص٢٠٨.

(٦) الزركلي: الاعلام، ج٢. ط٦. ص١١.

(٧) من المعروف حسب راي اغلب المؤرخين ان كندة من قبائل حضرموت وموطنها الاصلي هي قرية دمون الواقعة في اقليم حضرموت الصحراء، بينما الموطن الاصلي للحميريين هي وادي ميفعة بمحافظة شبوة، انظر الى كتاب تاريخ العرب القديم لنبيه عاقل. ص٢٠٨، وتاريخ الممالك القديمة لكلاوس شيبمان. ص٨٠ – ٨٢.

٣. تهاوي سيادة الدولة وهيبتها الاعتبارية في أرجاء اليمن تدريجيًا مما أثّر سلبًا على النظام الفيدرالي المركزي المزدوج التي ورثها الحميريون بمشاكلها[١] من أسلافهم السبئيين[٢]

والذي تزامن مع ازدياد سلطة الأقيال[٣] والأذواء[٤] ومعظمهم من فئة الأعراب[١] الذين بدأ نجمهم يبزغ في تلك الفترة[٢] كأبناء منطقتهم الأصلية اليزنيين

---

(١) يعتبر النظام الاداري في اليمن القديم نظاما معقدا وفريدا من نوعه في شبه الجزيرة العربية وان لم تتضح ملامحه الاساسية لنا بعد، ومن المعلومات المتوافرة لدينا عنه ان الدولة قسمت اداريا الى مخاليف ويدير المخلاف الواحد موظف معين من قبل الحكومة المركزية اسمه كبير ويقسم بدوره الى مقولات او قيالات ويديرها قيل، وهي بدورها ايضا تنقسم الى محافد او اذوائيات ويديرها ذو او قين، ويعين حكام الوحدات مسودها او مجلس اشرافها المحلي، اضافة الى ان الشئون المدنية في المخلاف من اختصاص حكومتها المحلية اما شئونها العسكرية فمن اختصاص المركز، فضلا على ان حاكمها ورئيس حكومتها لا يستطيع تنفيذ أي قرار يصدره الا بعد موافقة مسودها المحلي بالإجماع عليه، من مساوئه الخلط بين الصلاحيات المركزية والفيدرالية في الامور الادارية خلال فترة الحرب وعدم وجود قوانين او منهجية تنظم التقسيم الاداري وترسخه، فتحولت التجمعات المحلية الى وحدات ادارية رسمية، انظر مقال (افول الحضارة اليمنية) للدكتور عبدالله حسن الشيبة، العددان ٣٣ – ٣٤. مجلة الاكليل. ص٣٥ – ٣٦.

(٢) نيلسون، دتليف: الكشوف الاثرية – التاريخ العربي القديم. مكتبة الانجلو المصرية. القاهرة، ١٩٥٨م. ص١٢٣.

(٣) الاقيال جمع قيل وتعني حاكم مقولة متنفذ في الدولة الحميرية بعدما كان موظفا في احدى اجهزتها وحصل مقابل خدمته على اموال واملاك عقارية، اقرا مقالة د/ أسماء الجرو (الطبقة الحاكمة في سبأ وذو ريدان، حوليات سبئية. ص١٢.

(٤) ذو تعني صاحب باللغة اليمنية القديمة، وكانت تطلق على صاحب الحصن او المحفد والارض المحيطة به، وهو ايضا كالقيل شيخ متنفذ وموظف سابق وان كان اقل مرتبة منه في السلم الوظيفي والاداري في الدولة الحميرية اقرا مقالة د/ أسماء الجرو (الطبقة الحاكمة في سبأ وذو ريدان، حوليات سبئية. ص١٢.

والجدنيين[3] الذين سيطروا على معظم مفاصل الدولة السياسية والعسكرية قبيل الغزو الحبشي لليمن عام ٥٢٥م[4]؛ لاسيما بعد مشاركاتهم الفعالة في الحملات العسكرية التي قادها الملوك أو التبابعة[5] الحميريون داخل اليمن وخارجها منذ أواخر القرن الثالث حتى منتصف القرن الرابع الميلاديين حيث قمعوا العديد من التمردات والثورات الانفصالية والتي كادت أن تقض أركان دولتهم؛ كثورة حضرموت المندلعة حوالي عام ٣١٠م، وأدت إلى تحريرها من نير الحكم الحميري قبل أن يقتحموها ويخضعوها لسيطرتهم مجددًا بحدود عام ٣٢٠م تقريبًا ويعيثوا في مدنها فسادًا وقتلًا وتدميرًا، فقد ذكرت النقوش المسندية كنقش أرياني٣٢ كيف قضى الأعراب اليزنيون على العديد من الأراضي الزراعية ومشاريع الري المائية التي كانت تدرّ على سكان المنطقة عائدات مالية ضخمة تساهم -إلى جانب التجارة- في تحسين وضعهم الاقتصادي كمزارع العنب الخصبة والتي نشأ

---

(١) الاعراب هي فئة من فئات المجتمع اليمني القديم آنذاك وهي جمع كلمة عرب والتي تعني حرفيا باللغة اليمنية القديمة البدو بكافة انواعهم اما اصطلاحا فيراد بها الناس الغوغائيين الغير متحضرين الذين لا يعرفون التمدن او الاستقرار في حياتهم الاقتصادية واليومي، اقرا كتاب (المحاصيل الزراعية في اليمن القديم) لليبيا عبدالله دماج، ص١٦١.

(٢) دماج، ليبيا عبدالله: المحاصيل الزراعية في اليمن القديم. دار النشر للجامعات. صنعاء، ٢٠١٢م. ص١٦١.

(٣) الاشبط، علي: الأعراب في تاريخ اليمن القديم. وزارة الثقافة والسياحة. صنعاء، ٢٠٠٤م. ص٧٥.

(٤) الجرو، أسمهان: موجز التاريخ السياسي لشبه الجزيرة العربية. ص ٢٤٠.

(٥) التبابعة جمع تبع وتعني الملك الذي يتبعه شعبه اينما حل وهو لقب ملكي يطلق على حكام الدولة الحميرية فقط في روايات الاخباريين العرب، اقرا كتاب (الاعلام) لخيرالدين الزركلي، ج٢. ص ١١٢.

معظمها في المدن الصغيرة منها[١]، وقتلوا ما لا يحصى من المدنيين الأبرياء، وسبوا نسائهم وذراريهم، وبمباركة من السلطات الحميرية أضحت حضرموت (عدا إقليم الوادي والصحراء، انظر الخريطة رقم ٢) إقطاعية تابعة لأذوائيتهم المتمركزة في عبدان[٢] وما حولها[٣]، فيصبحون على إثر ذلك سادةً على أهلها بعدما كانوا تابعين لهم فيما مضى من قبل[٤]. هذه الامتيازات والإقطاعيات الإدارية شجعت نظرائهم من الأقيال الآخرين أن يحذوا حذوهم في نيل نصيبهم من الغنائم والأموال المرصودة لهم؛ وبالتالي يصبحون شيئًا فشيئًا مقربين تمامًا من الطبقة الحاكمة[٥] في حال إذا عملوا في مؤسسات الدولة أو قدموا خدمات جليلة لها، بل أن العديد من الممالك الصغيرة ولاسيما دول المدن أو الهجر الواقعة شمال دولة حمير[٦] استعادت وجودها السياسي المستقل[٧]

مستفيدةً من هذا الوضع الإداري المتردي[٨] الذي استفحل أمره في عهود الملوك شرحبيل يعفر وحسان يهأمن ولحيعت يرخم ذو جدن (٤٧٧ – ٤٧٩م)

---

(١) فرانيتسوزوف، سيرجي: تاريخ حضرموت الاجتماعي والسياسي قبل الاسلام وبعده. المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية. صنعاء، ٢٠٠٤م. ص٤٢ – ٤٣.

(٢) حبتور، ناصر صالح يسلم: اليزنيون....... موطنهم ودورهم في تاريخ اليمن القديم. دار الثقافة العربية. الشارقة، ٢٠٠٢م. ص١١٤.

(٣) فرانيتسوزوف: تاريخ حضرموت الاجتماعي والسياسي. ص٤٤.

(٤) حبتور: اليزنيون. ص١١٢ – ١١٣.

(٥)الاشبط: الأعراب في تاريخ اليمن القديم. ص٧٢.

2-(Haram 15/16(

=20. –(Gl 1000 / 16 7(RES 3945

2-(Haram 15/18(

وشرحبيل يكمل (٤٧٩ – ٤٩٠م[١]) وعبد كلال (٤٩٠ – ٤٩٥م[٢]) ومرثد آل نوف (٤٩٥ – ٥٠٥م) حيث استقلوا بحكم مخاليفهم ومحافدهم سياسيًا واقتصاديًا ليتحولوا على إثر ذلك إلى ما يشبه نظام الحكم الذاتي[٣] حيث يمتلكون من خلاله جيوشهم الخاصة التي كانت تشكل فيما مضى العمود الفقري للجيش النظامي الحميري[٤]، وعلى إثر ذلك يعود معها مجددًا النظام الشبه إقطاعي الذي كبحت جماحه الدولة منذ العهد السبئي الثاني (٦٢٠ ق.م[٥])، سيما أن هذه الحالة لم تكن حكرًا على حمير وحسب؛ بل شهدتها جميع الممالك اليمنية القديمة على الدوام، إلا أنها لم تشهد اضمحلالا -إن لم نقل انهيارًا حضاريًا- إلّا في عهد حمير[٦]، وعلاوة على ذلك؛ فإنّ الأقيال والأذواء في الأساس كانوا موظفين في الدولة وجزءًا من أركانها العتيدة على مرّ التاريخ اليمني القديم فإذا ما ضعفت أو وهنت قويت سلطتهم الخاصة[٧] وامتلكوا الوحدات الإدارية والمقاطعات المملوكة للسلطة المركزية، وكانوا يديرونها بأمر وإذن منها[٨]، فضلًا أن بعضهم

(١) الفرح: الجديد في تاريخ وحضارة سبأ وحمير، مج ٢. ص ٩٥٢.

(٢) الاشبط، علي محمد: الأحباش في تاريخ اليمن القديم. ص ٩٨.

(٣) منبه، وهب: التيجان في ملوك حمير (د. ن) حيدر اباد، ١٩٢٦م. ص٣٥٤.

(٤) حبتور: اليزنيون. ص١١٢ – ١١٣.

(٥) العودي، حمود: المدخل الاجتماعي في دراسة التاريخ والتراث العربي. عالم الكتب. القاهرة، ١٩٨٠م. ص ٥٠.

(٦) العودي: المدخل الاجتماعي في دراسة التاريخ والتراث العربي. ص ٥٠.

(٧) خالد، انور: رؤيا شمر يهرعش. دار الفكر المعاصر. بيروت، ١٩٩٢م. ص٧١، ٧٩، ٨٠.

(٨) منقوش، ثريا: التوحيد في تطوره التاريخي. دار ازال. بيروت، ١٩٨١م. ط٢. ص ٩٨ – ١٠٠.

وصلت به الجرأة أن ينافسوا البيت الحاكم على عرش الدولة الحميرية الثانية [1] ونصبوا أنفسهم ملوكًا عليها بقوة السلاح[2]، وأضحت الدولة اليمنية القديمة تعتمد في ملكية الأراضي على النظام الشبه إقطاعي في المناطق الفقيرة بالثروات فقط[3] وتحديدًا الهضبة الشمالية[4]، ليس هذا فحسب؛ بل وصل الأمر أنهم كانوا يقرضون الدولة الكثير من الأموال حتى يستقيم اقتصادها المتهاوي حينها[5].

٤. الصراعات الداخلية بين أفراد الأسرة الحاكمة كما حدث بين أولاد أبكرب أسعد[6].

٥. فشل الحكومة المركزية في حلّ المشاكل الاقتصادية الناتجة عن حملاتها العسكرية داخل البلاد وخارجها رغم الازدهار التجاري والصناعي الذي شهدته آنذاك

---

(١) لم تكن هذه المرة الأولى التي يتربع على عرش اليمن القديم ملوكا خارج إطار البيت الحاكم فهناك العديد منهم أضحوا ملوك في سبأ أو حضرموت أو قتبان ولاسيما في فترات الضعف التي اعترت هذه الدول المذكورة سلفا، لكنها استفحلت في عهد ملوك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت وأعرابهم في الطود والتهائم عامة والدولة الحميرية الثانية خاصة وتحديدا علي يد اقيال وأذواء العشيرة اليزنية الذين امتلكوا العديد من الأراضي الزراعية واحتلوا مراكز ومناصب مرموقة في الجيش والإدارة في الأخيرة حتى سقوطها على الأحباش عام ٥٢٥ م، انظر مقال (أفول الحضارة اليمنية) للدكتور عبد الله حسن الشيبة في مجلة الإكليل، العددان ٣٣ – ٣٤. ص٣٥ – ٣٦.

(٢)الفرح، محمد حسين: الجديد في تاريخ وحضارة سبأ وحمير، مج٢. وزارة الثقافة والسياحة. صنعاء، ٢٠٠٤م. ص ٩١.

(٣)بافقية، محمد عبدالقادر: اليزنيون من القيالة الى الملك. دراسات يمنية، العدد الحادي والثلاثين. مركز الدراسات والبحوث اليمني. صنعاء، ١٩٨٨م. ص٤٥.

(٤) عبد الحافظ، عبد الرشيد: تاريخ القانون في اليمن القديم. دار الكتاب الجامعي. صنعاء، ٢٠٠٩م. ص٣٢.

(٥)الحمد: الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في اليمن القديم. ص٧٢ – ٧٣.

(٦)الفرح: الجديد في تاريخ وحضارة سبأ وحمير. مج١. ص٩٥٢ – ١٠٠٦.

والذي انعكس إيجابا على عائداتها المالية من الضرائب والجمارك؛ مما تسبب في عجز في ميزانيتها بشكل كبير(١).

٦. أدت الأزمات الاقتصادية وتسيد مراكز القوى الاجتماعية الساحة الداخلية شيئًا فشيئا إلى ظهور الصراعات بين أفراد المجتمع اليمني القديم على أسس قبلية ومناطقية وطبقية(٢) والتي أدت إلى اتساع الهوة بين فئاته بشكل تدريجي بدءًا من فئة الحاشية الحاكمة المكونة من الملك وأسرته ورجال الدولة المدنيين والعسكريين من أقيان(٣) وكبراء وقادة جيوش ورجال الدين الذين بدأ وجودهم ينحسر أمام تغلغل الأديان السماوية إلى البلاد والأقيال والأذواء الموالين له مرورًا بموظفي الحكومة الصغار وملاك الأراضي والتجار والفلاحين والحرفيين وانتهاءً بالطبقة الدنيا من الأتباع أو المرافقين المسلحين والأُجَرَاء والعبيد(٤).

٧. تفرّد الملوك الحميريين في تلك الفترة بالحكم وصنع القرار السياسي دون الرجوع إلى المجلس التشريعي في اليمن القديم (المسود) أو حتى استشارته(٥)؛ مما يكشف عن تحجيم دوره(٦)، فمن المعروف أن مؤسسات الحكم في الدولة الحميرية كانت امتدادًا لنظيرتها في قتبان حيث كان النظام ملكيًا مزدوجًا؛ بمعنى أن من كان

(١) ناشر، هشام عبدالعزيز: التجارة واثرها في تطور ممالك اليمن القديمة. جامعة عدن، ٢٠٠٩م (رسالة الماجستير غير منشورة). ص١٨٧.

(٢)العودي: المدخل الاجتماعي. ص٥٨ – ٥٩.

(٣) جمع قين وتعني باللغة اليمنية القديمة مدير او مشرف، اقرا كتاب (الاحوال الاجتماعية والاقتصادية في اليمن القديم) لجواد الحمد. ص١٨٠ - ١٨٣.

(٤) الحمد: الاحوال الاجتماعية والاقتصادية في اليمن القديم. ص١٤٠ – ١٨٧.

(٥) الحمد: الاحوال الاجتماعية والاقتصادية في اليمن القديم. ص٨٥.

(٦) الشيبة: افول الحضارة اليمنية القديمة. ص٣٥.

يحكمها ملكين منتميين إلى العائلة الحاكمة، فالأول رئيسٌ للدولة والثاني نائبه وولي عهده ورئيسٌ للحكومة، وكلاهما مسئولان أمام المسود ولا يصدران أي قرار أو قانون يتعلق بأوضاع الناس المعيشية ونشاطات الدولة الاقتصادية والسياسية والعسكرية إلا بعد موافقة أعضائه عليه بالإجماع(١).

٨. الصراعات الدينية الناشئة في البلاد والمتزامنة مع بدء انتشار الديانات السماوية في شبه الجزيرة العربية مطلع القرن الرابع الميلادي(٢) ودورها المحوري في تقويض ما تبقى من أركان الوحدة الوطنية لحمير أكثر من ذي قبل بعدما اتخذت طابعًا مسلحًا على هيئة حروب واشتباكات داخلية وصلت إلى حد طلب العون والتدخل العسكري من الخارج سواء من بيزنطة والحبشة(٣) وفارس(٤)، ومن أهم الأديان التي سادت المنطقة آنذاك:

أ – اليهودية:

يعود تاريخ ارتباط أتباع الديانة اليهودية باليمن إلى أزمنة وعصور غابرة؛ حيث وردت أسماء ومدن وممالك وقصص متعلقة بجنوب الجزيرة العربية ولاسيما قصّة لقاء ملكهم نبي الله سليمان وملكة سبأ أو شيبا(٥) في كتابهم المقدس التوراة(١)، إلا أنهم لم يحتكّوا

(١) العودي: المدخل الاجتماعي. ص٥٨ – ٥٩.

(٢) الجرو: دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم. ص٢٤.

(٣) حتي، فيليب واخرون: تاريخ العرب. دار غندور للطباعة والنشر. بيروت، ١٩٧٤م. ص٩٦.

(٤) حسن، يوسف فضل: العلاقة بين الثقافة العربية والثقافات الافريقية. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. تونس، ١٩٨٥م. ص٣٨.

(٥) شيبا تعني الغرب باللغة العبرية، وهذا ما حدا بالعديد من المؤرخين الغربيين بالتشكيك في وقوع سبا المذكورة في الكتاب المقدس جغرافيا في اليمن، اقرا كتاب محمد عبدالقادر بافقية (تاريخ اليمن القديم)، ص٥٦.

بمنطقة جنوب الجزيرة العربية إلا في القرن السادس قبل الميلاد حين هاجرت أعداد كبيرة منهم إلى هناك قادمين من العراق إثر غزو الملك الكلداني نبوخذ نصر الثاني (٥٦٢ – ٦٠٤م) لفلسطين واقتحامه عاصمة دولتهم القدس عام ٥٨٧ ق.م(٢)، مرورًا بأسر الجيش السبئي لعدد من المحاربين التابعين للدولة المكابية(٣) خلال مشاركتهم بحملة اليوس جالوس الرومانية على اليمن عام ٢٤ ق.م(٤)، ومع ذلك؛ فإن أوّل دليل على اعتماد اليهودية كديانة رسمية لحمير في عهد ملكها ذرا أيمن في القرن الرابع الميلادي حتى عهد أبكرب أسعد(٥) ظنًا منهم أن هذا يجنب دولتهم الخضوع الاقتصادي والأيديولوجي لإحدى الإمبراطوريتين الفارسية والبيزنطية، ويؤثر سلبًا على استقلالها السياسي كقوة صاعدة منافسة لهما، والبحث عن بديل للديانات الوثنية التي لم تعد تلبي الاحتياجات والتطورات الفكرية التي طرأت على ثقافة المجتمع المحلي آنذاك على الرغم من أن الأخيرة أكثر عقلانيةً وانفتاحًا من الأولى وطقوسها المتشددة(٦) ومازالت ماثلة بشكل راسخ في العادات والتقاليد

---

(١) الشيبة: دراسات في تاريخ اليمن القديم. ص١٢١.

(٢)اسماعيل: تاريخ الشرق القديم (العراق وبلاد الشام). المنتدى الجامعي للنشر والتوزيع. صنعاء، ٢٠٠٢م. ص١٥٣.

(٣) هي ثاني دولة لاتباع الديانة اليهودية نشأت في فلسطين حوالي عام٢٧٠ ق.م بعد مملكة يهوذا والسامرة التي يعود تاريخها الى القرن العاشر قبل الميلاد على يد احد الحاخامات يدعى مكابيوس بعدما ثار على سادته السلوقيين وعلى راسهم الامبراطور انطيوخيس الثالث بدعم من البطالمة آنذاك، اقرا كتاب (العراق وبلاد الشام)، د/ عارف احمد اسماعيل. ص١٥٣.

(٤) الشيبة: محاضرات في تاريخ العرب القديم. دار الافاق للطباعة والنشر والتوزيع، صنعاء، ٢٠٠١م. ط٣. ص١٣٢ – ١٣٣.

(٥) الجرو: دراسات في التاريخ الحضاري ص١٨٢ و١٨٤.

(٦) نيلسون: الكشوف الاثرية – التاريخ العربي القديم. ص٣٢١.

الشعبية آنذاك(١)، إضافة إلى تأثير من الأقيال المشاركين ليهود المدينة المنورة والشام الذين كانوا يتولون تسويق بضائعهم كوسطاء تجاريين لدى بيزنطة بشكل غير مباشر(٢).

ب – المسيحية:

بدأت تدخل إلى اليمن في القرن الرابع الميلادي(٣)، إلا أنها لم تنتشر أو يتم التبشير بها بين السكان المحليين إلا مطلع القرن الخامس الميلادي(٤)، وأضحت دينًا رسميًا في عهد الملك عبد كلال(٥) تندلع على إثر ذلك الاشتباكات بين الأغلبية اليهودية والأقلية المسيحية(٦) الذي تركز معظم أفرادها في تهامة وفرسان ونجران التي مع مرور الوقت أضحت مقرًا للكنيسة اليمنية آنذاك(٧).

ج – الحنيفية:

وهي ديانة سيدنا إبراهيم عليه السلام، وإن كانت المصادر التي بحوزتنا لا تسفعنا بمزيد من المعلومات القيّمة حول ظهورها في اليمن ونسبة انتشارها لدى السكان المحليين(٨).

)1(Robin , Christian ; bafaqih , Mohammed: sayhadicat. editions geuthner. Paris , 1985.

(٢) مكاوي، فوزي: العلاقات بين اكسوم وجنوب الجزيرة العربية خلال عهد الملك كالب (٤٩٤ – ٥٣٥م). دراسات يمنية، العدد الثالث. صنعاء، ١٩٨٢م. ص٥.

(٣) حتي: تاريخ العرب. ص٩٦.

(٤) الفرح: الجديد في تاريخ وحضارة سبا وحمير، مج٢. ص٩٥٢.

(٥) الفرح: الجديد في تاريخ وحضارة سبا وحمير، مج٢. ص١٠١٥.

)6(CIH 6/1 – 3. = Gl 7= RES 2637 = HA 3

(٧) امين: ظهر الاسلام. ص٢٤.

(٨) الشجاع، عبدالرحمن: تاريخ اليمن في الاسلام. دار الفكر المعاصر. صنعاء، ٢٠٠٢م. ص٢٤.

د – التوحيد الحميري:

أقدم ذكر لظهور هذه الديانة الجديدة يعود إلى منتصف القرن الخامس الميلادي في نقش الملك شرحبيل يعفر المؤرخ بسنة ٥٦٥حميري الموافق ٤٥٠م ميلادي حيث يقول في السطرين الـ ٨١ و٨٢:

(ح ر ص م / ب ن ص ر / ور د ا / ا ل ه ن / ب ع ل / س م ي ن / وا ر ض ن)[1]

وتعني بتأييد ومباركة ونصر من الإله رب السماوات والأرض، مما يبرهن لنا بأنها توحد الله عز وجل دون تجسيم له أو اشراك به، وإن كان بعض المؤرخين لا يعتبرونها بمثابة دين جديد لخلوّها من طبقة رجال دين ودور للعبادة خاصة بها، وعدم وجود كتاب مقدس يحتوي في طياته الأركان والطقوس الأساسية التي يهتدي بها أتباعها لتكون منهجًا لحياتهم اليومية، لكنها دلالة واضحة على مدى النضج والتطور الفكري والعقائدي التي وصل إليها اليمنيون القدماء خلال العصر الحميري الثاني[2] في اهتدائهم لعبادة الله عز وجل دون الحاجة إلى نبيّ مرسل منه إليهم، لذا فإنها لم تتجاوز حدود الطبقة الحاكمة الحميرية تمامًا وتحديدًا الملوك الذين لم يتبنوا طيلة النصف الثاني من القرن الخامس الميلادي

---

(1) CIH 540/81 – 82. = Sh 41 = Fa 4 = Gl 554

(٢) ارتأى معظم المؤرخين اليمنيين والعرب الى ان التقسيم الزمني للدولة الحميرية ينقسم الى ثلاثة عصور: ١- العصر الحميري الاول او عصر التأسيس (١١٥ق.م – ٢٧٥م) ٢- العصر الحميري الثاني او العصر الامبراطوري (٢٧٥- ٥٢٥م) ٣- العصر الحميري الثالث او عصر ما بعد التحرير من الاحتلال (٥٧٣ – ٥٩٥م). وقد استثنوا فترة الاحتلال الحبشي الثاني لليمن (٥٢٥ – ٥٧٣م) من التقسيم المذكور انفا واعتباره حدثا طارئا فحسب، انظر كتاب الجديد في تاريخ وحضارة سبا وحمير لمحمد حسين الفرح. المجلد الثاني. ص١١١٠-١١١١، وانظر كتاب تاريخ العرب القديم وعصر الرسول للدكتور نبيه عاقل. ص٩٨-١٠١.

أي من الأديان المذكورة سلفًا وفرضها على الناس أجمع تحقيقًا لأهدافهم السياسية[1] والاقتصادية البحتة[2]، وبعدما فصلوا الدين عن الدولة منذ القرن الثالث الميلادي[3]، فضلًا عن تحوّل المخاليف في حمير إلى مقاطعات مستقلة ذاتيًا كما أسلفنا من قبل[4].

التدخل الأكسومي المستمر في شئون اليمن القديم، والذي يعود تاريخه إلى القرن الأول قبل الميلاد[5] عبر الحملات العسكرية التي شنتها في حقبة مملكة أكسوم ومازالت منذ عهد الملوك عذبت[6] وجدرت وولده بيجت (٢٧٠م[7]) ومرورًا بنظيره عيزانا (٣٥٠م) حتى تازانا (٤٨٦ – ٤٩٣م) فابنه كالب (٤٩٣ – ٥٣٢م[8]) مستغلين الأوضاع الداخلية السيئة والصراعات السياسية والدينية والتي استفحلت في عهد شرحبيل يكمل[9] حيث كان لهم دور رئيسي في إذكائها منذ نشر قواتهم العسكرية على طول سواحل تهامة وعسير[10]، إضافةً إلى الطابع الديني والعرقي الذي صبغ تلكم الحملات؛ كمباركة المسيح وتلقيب أصحابها أنفسهم باللقب الرسمي للملوك الحميريين (ملك سبأ وذو ريدان

---

(١) الشيبة: دراسات في تاريخ اليمن القديم. ص٣٠.

(٢) مكاوي: العلاقات بين اكسوم وجنوب الجزيرة العربية في عهد كالب. ص٥.

(٣) الجرو: الطبقة الحاكمة في سبا وذي ريدان. دراسات سبئية، الجزء الاول. المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية. صنعاء، ٢٠٠٥م. ص٢١.

(4) Ja 1028 / 1,18,19. = brown 20

(٥) الشيبة: دراسات في تاريخ اليمن القديم. ص٢٦.

(٦) عنان١٦، السطور ٦٣ – ٦٥.

(٧) سمسم: العلاقات بين شبه الجزيرة العربية والحبشة. ص٥٧ – ٥٨.

(٨) الشيبة: محاضرات في تاريخ العرب القديم. ص١٧٥.

(٩) الفرح: الجديد في تاريخ وحضارة سبا وحمير، مج٢. ص١٠٠٦.

(10) Marcus , Harold g.a: history of Ethiopia. university of California press. 1994. p5.

وحضرموت ويمانه وأعرابهم في الطود والتهائم)[1] كما هو مذكور في نقوشهم الرسمية المتعلقة به للتغطية على أهدافها الحقيقية السياسية والاقتصادية المتمثلة في السيطرة على اليمن الموطن الأصلي للأحباش الذين انحدروا من نسل القبائل السبئية المهاجرة إلى شمال أثيوبيا في القرن السادس قبل الميلاد والتي قدمت بعد هجرة نظرائهم الأوسانيين الذين كانوا يسيطرون على الساحل الشرقي لأفريقيا[2] في القرن السابع قبل الميلاد[3]، والتحكم بباب المندب[4] وخطوطها الملاحية، وإنشاء قواعد عسكرية داخل المناطق المحلية الموالية لهم[5]، على الرغم من أن هناك شكوك حول الحملات الأخيرة ولاسيما بعد أن بزغت اليمن كقوة عسكرية ضاربة لا يشق لها غبار في الجزيرة العربية في عهد الملك شمر يهرعش -كما أسلفنا الذكر- حيث أن الحبشة لم تستطع غزوهم أو حتى غزو سواحلهم بعرض البحر الأحمر[6] دون أن يصطدموا بقواتهم البحرية الشديدة البأس والباسط سيطرته على البحرين الأحمر والعربي آنذاك[7]، فضلًا عدم نقوش مسندية تقابل نقش عيزانا الشهير[8] باستثناء

---

(١) رودوكاناكيس، نيكولاس: الحياة العامة في الدول العربية الجنوبية. ص١١٨.

(٢) الحبيشي، حسين ؛ الشميري، نجيب: الطواف في البحر الاحمر ودور اليمن البحري. دار جامعة عدن للطباعة والنشر، ٢٠٠٤م. ص٥٠.

(٣) بافقية: تاريخ اليمن القديم. ص٢٢.

(4) Unknown Greek author: the Periplus Maris erythaen , translation: William street. Princeton university press , 1989. chapter 7. p54.

(٥) شرف الدين، احمد حسين: تاريخ اليمن الثقافي. سلسلة اصدارات جامعة صنعاء، ٢٠٠٤م. ص١٨٨.

(٦) علي، جاسم صكبان: تاريخ العرب قبل الاسلام والسيرة النبوية. دار الفكر، عمان. ٢٠٠٢م.

(٧) عثمان، عبده علي: كتابات في التاريخ الاجتماعي للمجتمع اليمني. مركز الدراسات والبحوث اليمني. صنعاء، ٢٠١١م. ص٢٥٠.

(٨) الاشبط، علي محمد: الاحباش في تاريخ اليمن القديم. ص٩٣ – ١٠٠.

نقوش المعسال(1) التي عاصر فيها ملك أكسوم ذو قرنس نظيره الحميري شمر يهرعش(2)، ومن قبلهم نقش الملك أيل شرح يحضب الذي تحالف مع الملك عذبت ضد حمير والتي يعود تاريخها جميعا إلى القرن الثالث الميلادي(3)، إلّا أن الأولى قد تعرضت إلى الغزو العسكري من قبل الحميريين حوالي عام ٢٨٠م(4).

الحبشة:

أما أكسوم؛ فقد تأسست إثر الغزو الروماني لمصر على يد صاحب نقش عدوليس والذي يعتقد أنه المؤسس الفعلي لأكسوم(5) التي تألفت على أنقاض مملكة دعمت المكونة من عدة مستوطنات سبئية امتدت من شمال أثيوبيا حتى الساحل الشرقي للبحر الأحمر التي تأسست منتصف القرن الرابع قبل الميلاد (انظر الخريطة رقم ٣)(6) دون أن تتوفر لنا المعلومات الكافية حول نظامها السياسي أو تطورها الحضاري أو أدق التفاصيل العادية عنها سوى أن عاصمتها يحا، وكانت على ما يبدو دولة اتحادية مكونة من عدّة دويلات مدن صغيرة في طور التكوين ذات طابع اجتماعي – اقتصادي(7) تحكم من قبل المكاربة(1) تطابق

---

(1) Mafray – al- ma'asal 3/3 – 8.

(٢)Mafray – al – ma'asal 5/3 – 16. ، عنان٧، السطور٣ – ١١.

(٣) بافقية: توحيد اليمن القديم – الصراع بين سبا وحمير وحضرموت من القرن الاول الى القرن الثالث الميلادي. المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية. صنعاء، ٢٠٠٧م. ص٢٧٩ – ٢٨٠.

(٤) الحداد، محمد يحيى: التاريخ العام لليمن، مج١. وزارة الثقافة والسياحة. صنعاء، ٢٠٠٤م. ص٢٩٠ – ٢٩١.

(٥) الشيبة، عبدالله حسن: محاضرات في تاريخ الحبشة القديم. دار الكتاب الجامعي. صنعاء، ٢٠٠٦م. ص١٠٢.

(6) Munroe hay , Stuart: Aksum: African civilization of late antiquity. university of Edinburgh press , 1991. p13

(7) JE 1384/1 , JE 4/1.

إلى حدٍّ ما نظام الهجر المعمول به في اليمن منذ القرن الثالث عشر قبل الميلاد كمطرة وعدي وسبأ إضافة إلى أكسوم الواقعة حاليًا جنوب غرب اريتريا(٢)، وشهدت ازدهارًا تجاريًا وصناعيا خلال القرن الثاني قبل الميلاد تمثلت بصناعة الفخار والزجاج الصخري، وتربية المواشي وتصديرها إلى مصر والسودان الحالية واليمن الذين كانوا بمثابة الشركاء التجاريين الأساسيين لها آنذاك(٣)، فضلًا عن أن حدود دولتهم لم تتجاوز حدود إقليم التيغراي(٤)، وكانت لغتها الرسمية مزيجًا من اللغة السبئية ولغة السكان الأصليين، والتي كانت تكتب بأحرف المسند(٥)، إضافةً إلى أن سكانها كانوا يعبدون الآلهة اليمنية القديمة كآلمقة وعثتر(٦)، ومن رحمها بدأت أكسوم تشق طريقها بنجاح في التوسع العسكري والسياسي منذ عهد الملك عيزانا الذي تغلغلت جيوشه في أراضي مملكة مروي(٧)، والقضاء عليها نهائيًا حسب رأي أغلب المؤرخين حوالي ٣٢٥م(٨) فأصبحت على إثر ذلك تسيطر على

(١) المكاربة جمع مكرب وتعني باللغة اليمنية القديمة المقرب من الاله وكانت تطلق فيما يبدو على رئيس الدولة اليمنية القديمة الذي يجمع بين يديه وظيفتي الحكم والكهانة معا ويتم اختياره لهذا المنصب عبر الانتخاب، انظر الى كتاب د/ محمد عبدالقادر بافقية (تاريخ اليمن القديم)، ص٥٤.

(٢) انفري، فرانسيس: حضارة اكسوم من القرن الاول الى القرن السابع – تاريخ افريقيا العام، ترجمة: جمال مختار، جين افريك، مج٢. اليونسكو. باريس، ١٩٨٥م. ص٣٦٤.

(٣) انفري، فرانسيس: حضارة اكسوم من القرن الاول الى القرن السابع – تاريخ افريقيا العام، ترجمة: جمال مختار، جين افريك، مج٢. اليونسكو. باريس، ١٩٨٥م. ص٣٦٤.

(٤) يقع اقليم التيغراي ضمن اراضي ارتيريا وشمال اثيوبيا وينسب الى قومية التيغراي السامية، فضلا على ان ابنائها يشكلون غالبية سكان المناطق المذكورة اعلاها، كما يتحدثون التيغرينية وهي حاليا اللغة الرسمية لدولة ارتيريا، اقرا كتاب (محاضرات في تاريخ الحبشة القديم). ص٨١ – ٨٣.

(5) Marcus , Harold: history of Ethiopia. university of California press , 1994. p4.

(٦) الشيبة: محاضرات في تاريخ الحبشة القديم. ص٨١ – ٨٣.

(٧) غالب: موجز العلاقات اليمنية – الحبشية. ص٢٩ – ٣٥.

(٨) بكر: تاريخ السودان القديم. ص١٧٠.

المواصلات النهرية الواقعة جنوب النيل الأزرق، وتحتكر التجارة بشكل مباشر ودون وسيط مع مصر الخاضعة آنذاك للحكم الروماني، فظلّت كما في السابق محتفظةً بأوجِ ازدهارها السياسي والاقتصادي كقوةٍ إقليميةٍ عظمى يحسب لها ألف حساب على الصعيدين الداخلي والخارجي والذي بلغ ذروته في القرن الخامس الميلادي[1] عبر العوامل التالية:

١. قوة الملوك الأكسوميين الأوائل، وبراعتهم القيادية عبر سيطرتهم على الجيش النظامي والذي كفل لهم بالتالي إخضاع جميع الأمراء ولسلطة حكومتهم المركزية[2] بعدما أفرغوه من القادة العسكريين المنافسين والمناوئين لهم، وطهروه نسبيًا من النعرات العرقية والاجتماعية التي تهدد وحدته الهيكلية الموروثة من مملكة دعمت[3]، وتجهيزه بأحدث وأقوى المعدات العسكرية والحربية والتي كانت معظمها مستوردة من الخارج، ورفع نسبة التعبئة في صفوفه المدربة تدريبًا احترافيا على أعلى مستوى[4] بحيث يمكنه من ردع أي فرد تسول له نفسه الخروج عليها على الرغم من أنها كانت مكونة من قوميات وأعراق أثنية تمتد من سهول الدناكل غربا حتى سواحل البحر الأحمر شرقا[5]، ومن إقليم البجة ومروي شمالا

(١) الشيبة: محاضرات في تاريخ الحبشة القديم. ص١٣٦.

(٢) كان من المعروف اختلاف مملكة اكسوم عن امبراطورية اكسوم، فالأولى يقصد بها الدولة التي نشأت مبكرا في مسقط راسها في اريتريا وشمال اثيوبيا اما الثانية فيراد بها مملكة اكسوم مضاف اليها الممالك الخاضعة لها، انظر دراسات في تاريخ اليمن القديم للدكتور عبدالله الشيبة. ص٣٤ – ٤٤، وكتابه الاخر محاضرات في تاريخ الحبشة القديم. ص١٦٧.

(٣) الشيبة: محاضرات في تاريخ الحبشة القديم. ص٨١ – ٨٣.

(٤) مكاوي: العلاقات بين اكسوم وجنوب الجزيرة العربية. ص٩.

(5) Barker , Samuel: the Nile tributes of Abyssinia. linecott company. London , 1820. the fourth edition. p90.

حتى الصومال وسواحله المطلة على المحيط الهندي جنوبا[1]، ومعظمها ينتمي إلى الجنس الحامي أو الكوشي عكس العنصر الحاكم للبلاد من ذوي الأصول السامية الذين كانوا يشكلون أقلية ديمغرافية فيها، مما جعلهم يقومون بثورات وتمردات عنيفة دون توقف رغم الحملات العسكرية المرسلة من قبلهم الواحدة تلو الأخرى ضدهم[2] وقمعها الدموي الشديد لهم[3] حيث أنهم محاربون بالسليقة ومدربون على ما يشبه حرب العصابات الجبلية السريعة المعتمدة على الكر والفر المفاجئ للعدو مستفيدين من تضاريس مناطقهم القاسية وتقلباتها المناخية أيضا[4].

٢. ابتكارهم نظامًا إداريًا مزدوجًا إلى حدٍّ ما مقتبسًا من نظيريه الحميري والبيزنطي، لكنه أكثر صرامة وتنظيمًا منهما إلى حد بعيد، فلضمان سيطرتهم على كافة نواحي إمبراطوريتهم الشاسعة (انظر الخريطة رقم ٥) لما تفرضه تعقيدات بنيتها الجيوسياسية والديموغرافية آنذاك فقاموا بتقسيمها إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول:

يشمل مملكة أكسوم الأصلية، والتي قسمت بدورها إلى مقاطعات أو إمارات يحكمها أمراء منتمين إلى الأسرة الحاكمة أو حاشيتها[5]، إلا أن صلاحياتهم كانت محدودة ومحصورة

---

(١)الشيبة: محاضرات في تاريخ الحبشة القديم. ص٨١ – ٨٣.

(2) D. A. E 6 / 19 – 26.

(٣) سالم: تاريخ العرب قبل الاسلام. ص١٢٢.

(٤) الاشبط: الاحباش في تاريخ اليمن القديم. ص١٤٣.

(٥) كوبيسكانوف، يوري: اكسوم من القرن الاول الى القرن الرابع – تاريخ افريقيا العام، جين افريك، مج٢. ص ٣٨٧ - ٣٨٨.

في مجالات ثانوية كالشئون البلدية على سبيل المثال فرضوا النظام المركزي على أرجائها فقط[1].

القسم الثاني:

وتشمل الدويلات والممالك التابعة المعروفة بالمسالمة، بمعنى آخر؛ خضعت لسلطتهم خضوعا تامًا دون اعتراض وعلى الأغلب حسب رأي بعض المؤرخين إما أنهم كانوا من السكان ذوي الأصول السامية أو جزءًا من مملكة دعمت السالفة الذكر[2]. وقد فرض عليها النظام الفيدرالي بحيث يحكمها حكام أو ملوك صغار يعرفون بالنجاشيين (NEGUS) على اعتبار أن ملوك أكسوم كانوا يعرفون في نقوشهم وعملاتهم المسكوكة والمصادر السريانية باسمهم بلقب (ملك الملوك)، وهي كناية عن لقب إمبراطور، ويتم اختيار أولئك الملوك التابعين لأكسوم من قبل زعماء شعوبهم المحليين بتوصية وترشيح من قبل الإمبراطور الأكسومي الذي تتولى حكومته شئون الدفاع والخارجية وجبي الضرائب الاتحادية المفروضة منهم.

القسم الثالث والأخير:

يشمل الدويلات والممالك والمشيخات القبلية التابعة والثائرة ضدها على الدوام كلّما سنحت لهم الفرصة بذلك. وقد طبق عليها النظام الإقطاعي العسكري، وهو نوع الأنظمة الإقطاعية والتي لا تنشأ إلا في الدول المحكومة من قبل القادة العسكريين، حيث يحكمها حكام أو ملوك صغار كنظرائهم في القسم الثاني، لكنهم يتميزون بكونهم عسكريين خدموا في الجيش النظامي الأكسومي، ويعرفون بالطغاة الإقطاعيين (TYRANNIS)، وهم من

(١) العارف، ممتاز: الاحباش بين مارب واكسوم. المكتبة العصرية. بيروت – صيدا، ١٩٧٥م، ص٤٦

(٢) الشيبة: محاضرات في تاريخ الحبشة. ص١٦٧.

أبناء سكانها المحليين إلا انهم يخضعون لسلطة إمبراطورهم المطلقة، والذي يقوم بتعيينهم لتولي أمر المتمردين وإخماد ثوراتهم المندلعة ضمن نطاق كيانه السياسي بين الحين والآخر. وعلى إثر ذلك يتم بموجب أمر من الإمبراطور الأكسومي تحويلها إلى إقطاعية خاصة به، وبالتالي يصبح سكانها وأراضيهم ملكًا له وسلالته مقابل خدمات أساسية يقدمونها له ليحظوا بمزيد من الامتيازات والهبات منه، وتتمثل في الضرائب المفروضة عليهم من طرفهما بين نقدية كالجزية السنوية وضريبة الرق وضريبة الدعم الحربي وعينية كالتجنيد الإجباري لأبناء دولته للقتال في صفوف الجيش الأكسومي وإرسال الرقيق إليهم ومعظمهم من الرجال والنساء والأطفال الذين يتم أسرهم إثر قمع أي ثورة أو تمرّد ضده، فضلا عن استخدام جيوشها الشبه نظامية لخوض الحروب والمعارك تحت رايته. ومن يتأمل طبيعة هذا النظام الإداري ويطّلع على كافة تناقضاته المركبة تركيبًا عجيبًا يدرك من الوهلة الأولى أنه ليس من السهل التحكم به إلا بوجود ملك قوي وحازم وقائد عسكري محنك من الدرجة الأولى ولديه الخبرة السياسية والقيادية بحيث لا يسمح لأية هفوة كانت أن تتسبب بانهيار هذا البنيان المرصوص الذي عكف أسلافه على توطيد أركانه وترسيخها على أرض الواقع؛ سيما ومن المحتمل وعلى ذمة ما ذكرته المصادر الأثيوبية القديمة بأنه يتوجب على أي ملك يتولى عرش أكسوم أن يثبت جدارته للحكم عبر قيادة أول حملة عسكرية ضخمة له في طول البلاد وعرضها، فضلًا عن أن الملكين عيزانا وخلفه وشقيقه شعيزانا سعيا لتكوين سلّم هرميّ جديد ودقيق للطبقة الحاكمة الإمبراطورية والذي يضع الملوك الأكسوميين في المرتبة العليا ونظرائهم التابعين من القوميات الأخرى في أسفلها[1]، ناهيك عن دور الديانة المسيحية ورجال الدين في تدعيم وحدة الدولة الأكسومية منذ اعتناق عيزانا وحاشيته لها واتخاذها دينًا رسميًا منتصف القرن الرابع الميلادي عبر المبشرين

---

(1) D. A. E 6 /12.

ورجال الدين اللبنانيين والمعروفين في الأدبيات الأكسومية بالقديسين التسعة المرسلين من قبل اثناسيوس الأول بطريرك الكنيسة القبطية في الإسكندرية عاصمة مصر إبان فترة الحكم الروماني والبيزنطي آنذاك(١)، وعلى رأسهم أسقف كنيسة أكسوم والمستشار الروحي لملوكها فيما بعد(٢) فرومنتيوس الذي عرف بلقب (أبا سلاما) أو الأب سلاما(٣) وشقيقه أيديسيوس الذين شكلوا النواة الأساسية للكنيستين الحبشية واليمنية على حد سواء(٤) مستخدمًا إياهم ومن معهم من القساوسة والرهبان المحليين الذين تتلمذوا على أيديهم بشكل مكثف في كافة مؤسسات الدولة العسكرية والسياسية والاقتصادية(٥)، ووصلت إلى درجة مشاركتهم في صنع القرار السياسي وتحالفهم غير المكتوب بينهم والنخبة الحاكمة آنذاك، وتقاسم عائدات الضرائب وغنائم الحرب معهم باعتبارهم وغيرهم من رجال الدين خلال القرن الخامس الميلادي في المرتبة الرابعة من السلّم الاجتماعي الأكسومي بعد الأسرة الحاكمة والنبلاء الإقطاعيين والقادة العسكريين دون أن يمنع ذلك خضوع أساقفتهم التام للملك بعدما أصبح بعضهم جزءا من حاشيته(٦)، ويعود سرّ ذلك إلى سعي الأكسوميين للاستعانة بهم من أجل خلق مشروع هوية سياسية جديدة للدولة وفرضها على سكان الإمبراطورية بالقوة(٧)، وتتناسب مع خصائصها الثقافية المحلية، وتضمن لهم في

(١) كوبيسكانوف، يوري: اكسوم من القرن الاول الى القرن الرابع – تاريخ افريقيا العام، جين افريك، مج٢. ص ٣٨٧ و٣٨٨ و٣٨٩.

(2) Benton , William: encyclopedia Britannica , vol 6. Chicago press , 1881. p1008.

(٣) كوبيسكانوف، يوري: اكسوم من القرن الاول الى القرن الرابع – تاريخ افريقيا العام، جين افريك، مج٢. ص٤٠٤.

(٤) عاقل: تاريخ العرب القديم. ص١٠٢.

(٥) الشيبة: محاضرات في تاريخ الحبشة. ص١٦٣.

(٦) ميكوريا: اكسوم المسيحية – تاريخ افريقيا العام، جون افريك، مج٢. ص٤١٥.

(7) Conte , Carmelo: the Sudan as a nation. counters editions. Paris , 1976. p60.

الوقت ذاته استقلاليتهم السيادية من الخضوع الكامل لأي طرف خارجي؛ صديقًا كان أم عدوًّا، ويحقق الهدف المرجوّ من الحفاظ على أمنها القومي وتمتين عرى وحدتها الوطنية التي أنجزتها بحدّ السيف من قبل(١)، وذلك عبر نهج ديني تمثّل في اعتماد المذهب المينوفيزي(٢) مذهبًا رسميًا للدولة بدلًا مِن نظيره الأرثوذكسي المطبق في الدولة البيزنطية، ولكن بطابع محلي بحت مزج بين التعاليم الكنسية والمعتقدات الوثنية السائدة هناك حينها(٣) ويتمخّض عنها أيدولوجية قسرية ابتكرها القساوسة واستوحوا أسسها من الكتاب المقدس(٤) وكتاب نجويدي يوكتان الذي يسجل تاريخ اليمنيين القدماء أسلاف الأحباش عامة والأكسوميين خاصة في منطقة القرن الإفريقي والمعروفة(٥) بالأيدولوجية السليمانية من أجل إضفاء صفة القداسة على ملوكها بدءا من عيزانا حتى كالب عبر ربطهم بالنسب المقدس المنحدر من نبي الله سليمان وزوجته الملكة بلقيس أو ماكيدا كما يسميها الأحباش(٦)، ولغة وطنية رسمية تمثلت في اللغة الجعزية التي كانت تتكلم بها قبيلة الأجاعز

---

(١) كوبيسكانوف، يوري: اكسوم من القرن الاول الى القرن الرابع – تاريخ افريقيا العام، جين افريك، مج٢. ص ٣٨٧.

(٢) هو احد المذاهب المسيحية الهامة في الشرق الادنى، وقد نشا في مصر مطلع القرن الرابع الميلادي وينادي بالطبيعة الالهية للمسيح عكس نظيريه النسطوري الذي ينادي بالطبيعة البشرية البحتة والارثوذكسي الذي يعتبر ان المسيح لديه الطبيعتين الالهية والبشرية معا، اقرا كتاب (العالم البيزنطي)، ج. هني. ص١٠٣.

(٣) الشيبة: دراسات في تاريخ اليمن. ص٢٨٥ - ٢٩٤.

(٤) ذكر لنا د/ عبدالله حسن الشيبة في احدى محاضراته الخاصة بمادة (موضوع خاص قديم) لطلاب السنة الرابعة والاخيرة في قسم التاريخ عام ٢٠٠٧م بان الكتاب المقدس هو الكتاب الذي يستخدمه اتباع الديانة المسيحية في اداء طقوسهم الدينية، وهو مكون من العهد القديم الذي يشمل الاسفار الخمسة من التوراة والعهد الجديد الشامل لبقية اسفار التوراة وكتاب الانجيل.

(٥) ميكوريا: اكسوم المسيحية – تاريخ افريقيا العام، جون افريك، مج٢. ص٤٢٣.

(٦) الشيبة: محاضرات في تاريخ الحبشة. ص ١٦٢ – ١٦٣.

السبئية[١]، واكتملت قواعدها في القرن الرابع الميلادي علي يد الكنيسة الأكسومية التي اتخذتها لغة أساسية لها، وساهمت في نشرها بين السكان ولاسيما أتباعها في أرجاء البلاد لتغدو على إثر ذلك اللغة الرسمية فيها، وتتفرع منها اللغات الأمهرية والتيغرينية والتغرية[٢] اللائي مازلن متداولات إلى يومنا هذا. ومع ذلك؛ فان أجزاء واسعة من أكسوم ولاسيما المناطق الجبلية النائية والواقعة حول مجرى النيل الأزرق لم تصل إليها المسيحية بعد، وظلت على وثنيتها لمدة ربع قرن[٣]، فضلًا عن انتشار طفيف للديانة اليهودية في الأجزاء الساحلية منذ[٤] الخامس الميلاديين عبر التجار الحميريين[٥]، إضافة إلى أن اعتماد الجعزية لغةً رسميةً لأكسوم لم يؤدّ إلى إلغاء اللغات الحامية والزنجية التي يتكلم بها السكان الأصليون للمنطقة كتعبيرٍ عن خصوصيتهم الثقافية والعرقية في مواجهة نظيرتها الوافدة من الضفة الشرقية للبحر الأحمر[٦]، إضافةً إلى الازدهار الاقتصادي الذي شهدته المملكة منذ القرن الرابع الميلادي[٧]، وبلغت ذروته بعد فتح أسواق جديدة لبضائعها في الهند وسيلان[٨] في عهد الإمبراطورية الموريانية[٩]، فضلًا عن مساعدة البيزنطيين اللامحدود لمملكة أكسوم على كافة الأصعدة السياسية والعسكرية والاقتصادية حيث استمر دعمهم العسكري اللامحدود للأكسوميين طوال القرن الخامس الميلادي والمتمثل بالسفن الحربية

(١) الشيبة: دراسات في تاريخ اليمن. ص ٢٩٤.

(٢) الشيبة: محاضرات في تاريخ الحبشة. ص ٦١ –٦٢.

(٣) الشيبة: محاضرات في تاريخ الحبشة. ص ١٦٢ – ١٦٣.

(٤) الاشبط: الاحباش في تاريخ اليمن. ص١٢٢.

(5) Marcus: history of Ethiopia. p9.

(٦) الشيبة: محاضرات في تاريخ الحبشة. ص ٦٥ –٦٦.

(٧) العارف: الاحباش بين مارب واكسوم. ص٤٦.

(٨) الاحمد: تاريخ الخليج العربي. ص٣٧٨.

(9) Crolier , limited: the knowledge , vol9. Montreal press ,1984. edition14. p134.

المجهزة بأحدث الأسلحة والجنود الرومان وخبرائهم العسكريين والجنود المرتزقة الذين بلغ عددهم حوالي ٢٠ ألف جندي[١]، دون أن ننسى التبادل التجاري بينهما الذي ارتفع بوتيرة أكبر وأضحت الإمبراطورية البيزنطية الشريك التجاري الأول لأكسوم خلال الفترة المذكورة، كما أن بيزنطة كان لها الدور البارز في الحملات العسكرية التي شنتها أكسوم على اليمن، واستطاعت من خلال إحداهن تثبيت أقدامها على الساحل الشرقي منه[٢]، وتوّج هذا التعاون الثنائي بين البلدين بتخصيص جزء من أرصفة ميناء عدوليس لرسو قواتها البحرية في قمع الثورات أو التمردات المسلحة التي تحدث في أراضيها، ومواجهة أي خطر خارجي يهددها بموجب التحالفات المنعقدة بينهما[٣].

(١) ميكوريا: اكسوم المسيحية – تاريخ افريقيا العام، جون افريك، مج٢. ص٤٢٣.

(٢) سمسم، عبدالمعطي بن محمد: العلاقات بين شبه الجزيرة العربية والحبشة – منذ اقدم العصور حتى نهاية العهد الحبشي باليمن. ايتراك للطباعة والنشر. القاهرة، ٢٠٠٨م. ص١٠٣ – ١٠٥.

(٣) رينسمان: الحضارة البيزنطية. ص٣٦٩ – ٣٧٠.

المبحث الثاني:

الأوضاع الاقتصادية

الاقتصاد اليمني القديم:

أضحى الاقتصاد اليمني القديم إبان القرن الخامس الميلادي في مفترق طرق جعلته في محك حقيقي عما إذا كان قادرًا على الحفاظ على قوته وازدهاره اللذين تحققا منذ مطلع القرن الرابع الميلادي أم لا، سيما وأنه تعرض في تلك الفترة إلى أزمات عديدة لا حصر لها أغلبها تمخض عن تدهور الأوضاع الداخلية على الصعيدين السياسي والإداري(١).

الزراعة:

ومن أهم هذه الأزمات أثناء تلك الحقبة ما تعرّض له القطاع الزراعي من أضرار مادية ومعنوية فادحة أدّت إلى هبوط حاد في طاقته الإنتاجية، وإن لم تصل إلى حدّ الانهيار من ناحيتي الكم والكيف على المستويين الداخلي والخارجي، فلم تعد الدولة الحميرية قادرة على تمويل مشاريع البنى التحتية الخاصة بالمنشئات الإروائية الضخمة التي برع فيها اليمنيون القدماء منذ آلاف السنين سعيًا لتوسيع رقعة الأرض الزراعية وتخصيبها كالسدود والحواجز المائية التحويلية والقنوات المائية والأحواض التخزينية لمياه الشرب التي يتم حفرها في الصخور كالمآجل(٢) أو ما يتم بناؤها بمواد البناء المحلية المتداولة آنذاك كالكريفات والصهاريج(٣) التي تعدّ من اختراعاتهم الفريدة من نوعها في شبه الجزيرة العربية، وإنشاء العديد من منشاتها الحيوية في عدن وظفار منذ القرن الأول الميلادي(٤)،

(١) ناشر، هشام عبدالعزيز: التجارة واثرها في تطور ممالك اليمن القديمة. دار جامعة عدن، ٢٠٠٩م. ص١٨٧.

(٢) الفرح: تاريخ صنعاء الحضاري القديم. ص١٠١.

(٣) علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ج٧. دار العلم للملايين. بيروت، ١٩٧٠م. ص١٦٦.

(٤) الشعيبي، احمد: اليمن – الظواهر الطبيعية والمعالم الاثرية. دار الكتاب الجامعي. صنعاء، ١٩٩٨م. ص٥٠.

ولاسيما أن جميعها كان يتم تشييدها بعناية فائقة وعلى أسس هندسية خاصة بالغة الدقة وتكلف أموالًا طائلة للإنفاق عليها[1] عدا الأفلاج والآبار والغيول والمدرجات الجبلية اللاتي تشيدن وتمولن بمجهودات ذاتية من سكان القرى التي تقام فيها[2]، كما أنها أهملت تدريجيًا شئون نظيراتها السالفة الذكر التي شيدت في عهود سابقة؛ من أهمها سد مأرب العظيم الذي تعرض للانهيار مرة أخرى عام ٤٥٠م[3] جرّاء ذلك بحيث لم تعد تجرى له الصيانة الدورية المعتادة والإصلاحات المتعلقة به كإزالة الترسبات الطينية والمعدنية وتكدس الطمي على أبواب صرف مياهه المخزنة فيه لتوزيعها على الحقول المجاورة له، وتجديد أساساته المبنية من الحجارة، وتلحيمها أو ربطها بالنحاس أو الرصاص الذائبين لملء الشقوق والفراغات الظاهرة والمتسعة شيئًا فشيئا بمرور الزمن تحت وطأة عوامل التعرية المناخية والمتمثلة في الرياح والأمطار وحرارة الشمس[4]، كما أنها لم تعد قادرة على بناء الحواجز أو السدود الواقعة على مجاري الأودية وتتحطم أجزاء منها أمام تدفق السيول الجارفة التي تقوم بصدها[5]، وذلك مردّه إلى عجز ميزانيتها النابع من إرسال السلطة الحاكمة آنذاك المزيد من الحملات العسكرية داخل البلاد وخارجها والتي لم تتحقق

---

(١) النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية. ص١٠٦ – ١٠٨.

(٢) الحمد: الاحوال الاجتماعية. ص٣٤٨ – ٣٥٩.

(٣) شيبمان: تاريخ الممالك القديمة. ص٨٥.

(٤) هناك بعض الادلة النقشية تظهر ان الملوك او التبابعة الحميريين في تلك الفترة كانوا نادرا ما يقومون بإصلاح سد مارب في حال اذا ما تحسنت الظروف المالية لدولتهم واحيانا ما كانوا يستجدون المساعدة من الاقيال والأذواء الذين لم يعودوا خاضعين لسلطة الحكومة المركزية في ظفار ويقترضون الاموال والرجال منهم في عمليات الاصلاح هذه، انظر نقش CIH 540 السطور ٢٠ – ٨٢، وانظر كتاب التيجان في ملوك حمير لوهب بن منبه، ص٣٥٤.

(٥) النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية. ص١٠٦ – ١٠٨.

أهدافها المرجوة منها[1]، وقلة عائداتها الضريبية المخصصة للزراعة ما بين الإلزامية كزكاة المحاصيل والعشر[2] المفروضة من قبلها بمراسيم ملكية وتشريعية، والطوعية على هيئة نذور دينية[3] عبر إنفاق معظمها في شراء ذمم وولاءات الأقيال والأذواء الأقوياء مقابل إعفائهم أو استثنائهم من دفعها بعدما كانت تفرض على الجميع بغض النظر عن مكانتهم الاجتماعية الرفيعة أو المتواضعة على حدٍّ سواء[4] مما أثّر سلبًا على الفئات الدنيا من عامة الناس وتحسين أوضاعهم المعيشية بعد أن أضحى الأثرياء أكثر ثراء والفقراء أكثر فقرًا[5]، بل وصل الأمر بهم إلى السطو على الأراضي الموجودة في مقولاتهم وأذوائياتهم والمملوكة للملك والدولة المركزية[6] والمعابد التي كانت معفية من الضرائب حتى مع بدء اندثار الديانات التقليدية منذ القرن الثالث الميلادي[7]، ولم يكتفوا بذلك؛ بل إنهم استولوا على أراض مملوكة لسكان المخاليف الخاضعين لإرادتهم بالقوة الجبرية دون حسيب أو رقيب من السلطات الرسمية التي لم تحرك ساكنا تجاههم[8] ولم تنزل أقصى العقوبات الرادعة والمنصوص عليها في قانون الملكية الزراعية المصدقة من قبل المسود بحقهم[9] في حال النزاعات المسلحة حول المزارع والحدود المقسمة بين أصحابها[10]، كما أنها لم تضبط

(١) فخري: رحلة اثرية الى اليمن. ص١٨٢.

(٢) الحجري: لغة الضاد ونقوشها المسندية، ج١. ص٤١٠.

(٣) النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية. ص١٥١.

(٤) دماج: المحاصيل الزراعية. ص١٣٢

(٥) العودي: المدخل الاجتماعي. ص٥٠ – ٥١.

(٦) الجرو: دراسات في التاريخ الحضاري. ص٢٣ – ٢٥.

(٧) منقوش: التوحيد في تطوره التاريخي. ص١٣٨.

(٨) فرانيتسوزوف: تاريخ حضرموت الاجتماعي. ص٤٢ – ٤٣.

(٩) الجرو: دراسات في التاريخ الحضاري. ص٣٩ – ٤١.

) 10(NA 4/1 – 7.

تجاوزات المزارعين بكافة فئاتهم الذين لم يعودوا يلتزمون بقوانين الري المعمول بها منذ قرون خلت فيما يتعلق بنصيبهم في السقاية الدورية لحقولهم والتي تتسم بموادها الصارمة وعقوباتها الرادعة، والتي وصلت إلى حد تخريب الأرض في حال تجاوز صاحبها نصيبه المحدد في سقايتها وبأمرٍ من مسئول الري الذي كان يعرف في المصادر النقشية بالدليل والذي كان يمتلك صلاحيات قضائية وتنفيذية واسعة وممنوحة من الملك لتطبيقه على المخالفين له دون اعتبار لمكانتهم الاجتماعية أو السياسية الرفيعة(١) علمًا بأن المياه ملكية عامة لا يجوز لأحد احتكارها لنفسه ولو كانت الدولة بجلالة قدرها(٢)، فضلًا عن أنهم لم يألوا جهدًا لحماية مزروعاتهم من الآفات الزراعية كالجراد والحشرات الضارة، يضاف إلى ما سبق المبالغة في حرثها أكثر من مرة(٣)، وغيرها من العوامل التي أدّت إلى تقلص مساحة الأراضي الخصبة والصالحة للزراعة بشكلٍ كبير، وانحصر وجودها في المرتفعات الوسطى والغربية إلى حدٍّ ما(٤)، إضافةً إلى أن العديد من المزارعين سواء المالكين أم المستأجرين العاملين فيها والمنتمين إلى طبقة الأجراء أضحوا عاطلين عن العمل؛ مما زاد في نسبة البطالة العامة في ذلك الوقت سيما وأنهم كانوا يشكلون غالبية القوى العاملة في اليمن القديم آنذاك(٥)، فضلًا عن أن هذا أدّى إلى ازدياد الهجرة العكسية نحو المدن وضاعف من ازدحامها أكثر من ذي قبل(٦).

---

(١) الجرو: دراسات في التاريخ الحضاري. ص٢٣ – ٢٥.

(٢) الحمد: الاحوال الاجتماعية. ص ٣٢٤.

(٣) دماج: المحاصيل الزراعية. ص١٤٣

(٤) النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية. ص٤٠.

(٥) دماج: المحاصيل الزراعية. ص١٧٢.

(٦) الحمد: الاحوال الاجتماعية. ص ٣٧٧.

ومع ذلك؛ فلم يؤثر ما ذكرناه آنفا في مستوى الإنتاج الزراعي الذي بلغ درجة عالية نسبيا محققا نوعا من الاكتفاء الذاتي ولبت احتياجات السوق المحلية من منتجاتها المتنوعة والمطلوبة آنذاك وما فاض عن حاجتها يتم تصديرها إلى الخارج[1]، وكانت تنقسم إلى ما يلي:

أ- المحاصيل الضرورية:

وهي المواد الأكثر استهلاكًا لدى السكان المحليين باعتبارها من الحاجات الأساسية فيما يتعلق بغذائهم اليومي التي لا يمكن الاستغناء عنها بأي حال من الأحوال، وتزرع في مساحات خصبة وظروف مناخية لابأس بها، تمتد من المرتفعات الوسطى حتى سهول تهامة؛ كالحبوب من القمح والذرة والشعير والدخن[2]، والفاكهة من العنب والموز والتفاح بنوعيه الحلو والحامض والخوخ والتين البري والتمر هندي واللوز[3] والاجاص والسفرجل والكمثرى[4] والتمر[5] والرمان[6]، والبقول من العدس والفول والفاصولياء والفجل، والخضروات من البصل والثوم والخيار والكراث[7].

(١) الحمد: الاحوال الاجتماعية. ص٤٥٨ – ٤٥٩.

(2(CIH 540/32 – 48.

(٣) النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية. ص٧٧.

(٤) الحمد: الاحوال الاجتماعية. ص٣٦٠ – ٣٦١.

(5(CIH 540/32 – 48.

(٦) دماج: المحاصيل الزراعية. ص١٤٥ – ١٤٦.

(٧) الجرو: دراسات في التاريخ الحضاري. ص٣٢.

ب - المحاصيل النقدية:

وهي تلك التي يتم زراعتها بغرض التصدير فقط إلى الخارج؛ لما تحققه من إيرادات عالية من النقد الأجنبي تدره على البلاد حكومةً وشعبًا؛ مثل اللبان على الرغم من أنه لم يعد من السلع الرائجة والمرغوبة بها كثيرًا من قبل التجار[1]، وحلّت محله بضائع أخرى لا تقل أهمية عنه في جودتها والطلب عليها كالعسل والقمح والشعير، والمر الذي مازال يحتفظ بمكانه بين صادرات اليمن التجارية إلى العالم الخارجي ولاسيما مصر والحبشة حيث يدخل في صناعة الأدوية[2] والتحنيط وحبر الكتابة بكليهما، والصبر[3].

ج - المحاصيل النسيجية:

أي تزرع خصيصًا لأغراض مرتبطة بصناعة الغزل والنسيج في ذلك الحين في أراضي ملائمة لها مناخيًا بالقرب من مجاري الأودية الجنوبية كبنا وتبن وميفعة كالقطن والكتان[4].

د - المحاصيل الدهنية:

كزيوت السمسم والذرة[5] والقطن[6] والقطر[7] والعرعر[8].

(١) العبادي: اليمن في المصادر اليونانية والرومانية. ص٦٢.

(٢) عبدالعال، عادل: الطب القديم. دار اجيال للنشر والتوزيع. القاهرة، ٢٠٠٧م. ط٣. ص٩٩.

(٣) الجرو: دراسات في التاريخ الحضاري. ص٣٦.

(٤) الجرو: دراسات في التاريخ الحضاري. ص٣٥.

(٥) دماج: المحاصيل الزراعية. ص١٤٥ – ١٤٦.

(٦) الجرو: دراسات في التاريخ الحضاري. ص٣٥.

(٧) دماج: المحاصيل الزراعية. ص١٠٦.

(٨) النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية. ص٧٩.

هـ - المحاصيل الطبية والعطرية:

والتي تستخدم في الصناعات الطبية والعطرية؛ كالطنف والعطر والأراك والزنجبيل والقسد والرند واللادن والصندل أو العود[1] والشجر العربي[2] والقرظ الذي يستخدم في دباغة الجلود[3].

و- المحاصيل الخشبية:

والتي تستخدم في صناعة الأخشاب والمنتجات المشتقة منها؛ كالعلب أو السدر الذي يستخدم في صناعة الأبواب وأسوار المنازل[4]، والطلح[5] والنخيل الذي يدخل في صناعة ورق العسيب (سعف النخيل)[6] وبوابات مصاريف السدود[7].

كما أن بعض المصادر النقشية التي بحوزتنا تقدّم لنا معلومات ضئيلة لكنها قيمة فيما يتعلق بغزارة الإنتاج للمحاصيل المذكورة أعلاه رغم الظروف والصعوبات الناشئة حينها جرّاء ما ذكرناه سابقًا، فيذكر الملك شرحبيل يعفر في نقشه الشهير الذي يعود تاريخه إلى عام ٤٥٠م الموافق ٥٦٥ ح خلال سطوره الـ ٣٢ – ٨٥ كميات الطعام المستهلكة من قبل العمال الذين تولوا مهمة صيانة سد مأرب وإصلاح الأضرار الناشئة عن انهياره الثالث من العام نفسه والمرصودة لهم ضمن الميزانية الخاصة به، حيث استهلكوا حوالي

(١) دماج: المحاصيل الزراعية. ص٦٧ و٦٨ و١٠٦ و١٢٢ و١٢٥.

) 2(MM12/4.

(٣) الهمداني: صفة جزيرة العرب. ص٢٢٤.

(٤) فرانيتسوزوف: تاريخ حضرموت الاجتماعي. ص٤٢ – ٤٣.

(٥) دماج: المحاصيل الزراعية. ص١٤٥ – ١٤٦.

(٦) الفرح: الجديد في تاريخ وحضارة سبا وحمير، مج٢. ص١٠٤١.

(٧) الجرو: دراسات في التاريخ الحضاري. ص٣٦.

٢٤,٨٣٠سدل (٢٤٠ الف كيلوغرام)[١] من الذرة والدقيق والقمح والشعير والتمر[٢]، ولو قمنا بقسمة الإجمالي على المحاصيل المذكورة لكان نصيب كل واحد منها حوالي ٤,٩٦٦ سدل (٤٩,٦٦٠ كيلوغرام)، كما أن نقش JA 670 يذكر غلالًا كبيرة بأكملها دون تحديد من القمح والشعير تم حصادها من إحدى المزارع المملوكة لأحد الأعيان في حمير[٣]، كما ورد في نقش من نقوش الزبر الخشبية عن استقبال كميات كبيرة في مخازن الملك الشخصية دون مقادير واضحة ومحددة أيضا، لكنها ذكرت نوعًا من الأوزان المتداولة والتي يرجح بأنها ذات طابع رسمي[٤]، كما أن الهمداني في كتابه (صفة جزيرة العرب) ذكر أن متوسط إنتاج صعدة من القرظ حوالي ألف رطل (٤٥٣ كجم)[٥]، لكنهم أقل مما جاء في نقش أرياني ٢٨ الذي يعود تاريخه إلى القرن الثالث الميلادي، ويذكر فيها شرح عثتر أشوع أحد أقيال صرواح كميات ضخمة من محاصيل الشعير والقمح والفواكه المزروعة في أراضيه والمقدمة إلى قائده وملكه كرب أيل يهنعم لنيل رضاه عليه ومقولته[٦]، كما أن المصادر الكلاسيكية ذكرت أن واردات الامبراطورية الرومانية من اللبان اليمني القديم خلال القرن الأول الميلادي بلغت حوالي ١٠ ألف حمولة جمل (٨٣٣ حمولة جمل شهريًا) أو حوالي ١,٧٠٠ طن (١٤١ طن شهريًا)، بينما الإنتاج الإجمالي للبلد يبلغ حوالي ٣ آلاف

---

(١) السدل: هو نوع من انواع المكاييل والاوزان التي كانت متداولة في اليمن القديم كاليدع ال والقدح والفقل ويساوي تقريبا السدل الواحد منها حوالي ١٠ كيلوجرامات، انظر كتاب (دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم) ل د/ أسماء الجرو. ص٣٤.

(2) CIH 540/32 – 85.

(3) Ja 670/26 – 27.

(4) YM 1173/1.

(٥) الهمداني: صفة جزيرة العرب. ص٢٢٤.

(6) Ir 28/21 – 23.

طن سنويًا (٢٥٠ طن شهريًا)[١]، كما بلغ إنتاجهم الإجمالي للمرّ بحوالي ١٨٤ ,١ طن حمولة جمل (٩٨ حمولة جمل شهريًا) أو حوالي ٢١١ طن (١٧ طن شهريًا)، كما أن ربطها بالإنتاج الصناعي الصاعد حينها ساهم في ازدهارها النسبي بشكل ملحوظ مما أثر إيجابا على نمو الثروة الحيوانية أكثر من ذي قبل.

الثروة الحيوانية:

فمن المعروف أن أصنافًا عديدة من الحيوانات الأليفة والبرية تواجدت في أراضي اليمن منذ القدم، وتنقسم إلى:

أ. الحيوانات المستأنسة والمدجنة:

وهي عديدة جدًا بفضل المراعي الكثيرة والخصبة جدًا[٢] والاسطبلات المخصصة لتربيتها وتسمينها ضمن ضوابط صارمة جدًا؛ من بينها عدم ذبح صغار الماشية لكيلا يتسبب في تقلص أعدادها، وتسوير مراعيها التي تنشأ بعيدًا عن الأراضي الزراعية بحيث لا تتسبب بتخريبها أو تدميرها[٣]، فضلًا عن استخدام أنواع جديدة من الأعلاف الحيوانية المصنوعة من مسحوق العلب أو أوراق السدر[٤] كالأبقار ذات القرون الطويلة في سقطرى والتي يعتقد أنه تم جلبها من أفريقيا[٥]، والجواميس والأغنام التي كانت تعتبر المورد الأول

---

(١) الجرو: دراسات في التاريخ الحضاري. ص٣٤.

) 2(CIH 540/43. (

(٣) الحمد: الاحوال الاجتماعية. ص٤٥٨ – ٤٥٩.

(٤) النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية. ص٧٦.

(٥) الحمد: الاحوال الاجتماعية. ص٣٨١.

لمدّ صناعات الملابس والألبان في البلاد منذ القرن الثالث الميلادي[1]، يليها الأبقار والثيران والضأن والكباش[2].

ب. الحيوانات المخصصة للنقل والمواصلات:

والتي تم استخدامها بكثرة في تلك الأيام؛ كالحمير بأنواعها المعافرية والحضرمية والجبلية لأغراض النقل وحرث الأرض الزراعية، والخيول للأغراض العسكرية وتحديدًا في سلاحي الفرسان والعربات، والجمال أو الإبل لأغراض السفر والنقل التجاري عبر الصحراء لمسافات طويلة ولاسيما المهرية منها التي كانت من أفضل أنواعها في شبه الجزيرة العربية قاطبةً بفضل الرعاية المتوفرة من قبل أهلها الخبيرين في هذا الحقل الذي قلما يوجد مثيل له عند غيرها[3].

الثروة السمكية:

بلغ إنتاجها مرحلة متقدمة في ذلك العصر بفضل رعاية الدولة الكاملة لمراكز الصيد السمكي التي انتشر معظمها في سواحلها الجنوبية، ودعمها اللامحدود لها منذ القرن الرابع الميلادي؛ كصيد السلاحف من أجل دروعها[4]، والحيتان من بينها حوت العنبر الذي كان يستخرج منه عطر العنبر ويصنع في الأيام الباردة على سبيل المثال[5] وتمركز وجوده في المدن

(١) الحمد: الاحوال الاجتماعية. ص٣٦٥.

) 2(CIH 540/43.

(٣) الحمد: الاحوال الاجتماعية. ص٣٦٥.

(٤) الحمد: الاحوال الاجتماعية. ص٣٨١.

(٥) من المعروف ان الحيتان حيوانات مائية ضخمة، لذا فهي لا تعيش الا في المحيطات والبحار المفتوحة المتصلة بها بسبب اعماقها الشاسعة المتسعة لها، اقرا فصل (البيئة والدورة الغذائية) في الموسوعة العلمية الميسرة. ص١٤٨.

اليمنية الساحلية المطلة على طول البحر العربي والقريبة من المحيط الهندي، والتونة والرخويات وأشجار المانجروف المائية والتي تعتبر مصدرًا غذائيًا للأسماك إلى جانب البلانكتون[1] والمرجان الذي كان يستخرج بكمياتٍ كبيرةٍ ومن كافة الأنواع البالغة حوالي ١٣٠ نوع والأحجام في شواطئ تهامة، ويتم تصديرها إلى الحبشة ومصر للأغراض الطبية والتجميلية[2] واللؤلؤة التي لها مراكز اصطياد خاصة بها وغواصين محترفين في صيدهما ومتخصصين في تبييض الأصداف والمحار بعد استخراج اللؤلؤة منها ليتم استخدامهم في أغراض صناعية، والجدير بالذكر أن المرجان واللؤلؤ كانا من صادرات اليمن البحرية آنذاك إلى مصر[3].

الحيوانات البرية:

وهي التي تعيش في البراري والأراضي القاحلة الفسيحة النادرة السكان، ولم يقم الإنسان بتدجينها لطبيعتها الشرسة والمتوحشة والمعتادة على الحياة الحرّة، لهذا السبب؛ فالعديد منها انقرض تمامًا جرّاء الصيد المتكرر والذي عُرِفَ في بعض النقوش بالصيد المقدّس[4] التي تداولها اليمنيون القدماء في عهود سابقة[5]، كما أن معظمها آتٍ من القارة الأفريقية؛ كالأسود والفهود والحمير الوحشية والقرود الجبلية المعروفة بالرُّبَاح والأبقار

---

(١) ان البلانكتون نوع من المخلوقات البحرية المتناهية الصغر تلتصق بالصخور السفلية لسواحل المحيطات تحت ضغط التيارات المائية الباردة والساخنة وتعد مصدرا غذائيا رئيسيا للأسماك، اقرا مقال باسم القيم (البيئات الطبيعية للسواحل اليمنية). مجلة بينون، العدد١. ص٢٠٨ - ٢٠٩.

(٢) القيم، باسم: البيئات الطبيعية للسواحل اليمنية..... تنوع وثراء. مجلة بينون، العدد١. جامعة ذمار، ٢٠٠٤م. ص٢٠٨ – ٢٠٩.

(٣) الحمد: الاحوال الاجتماعية. ص٣٨٢ - ٣٨٤.

(٤) نقش ينبق ٧، السطر ال ١٢.

(٥) الجرو: دراسات في التاريخ الحضاري. ص٣٧.

البرية والفهود والذئاب الصحراوية[1] والثعالب والقطط الوحشية والأفاعي والنعام والضباع وبنات آوى والوعول والغزلان البرية[2].

(GL 1000 (A) = RES 3945/7. 1(

(٢) الحمد: الاحوال الاجتماعية. ص٣٨٦ - ٣٨٨.

الحيوانات المنزلية:

تلك التي تُرَبّى في المنازل، ويستفاد من لحمها وبيضها وجلدها ولبنها؛ كالدواجن والبط والإوز(1) والأبقار والأغنام والماعز(2)، إضافةً إلى النحل الذي ينتج عبر العسل بأنواعها الجبلية والدوعانية والجردانية، ومراكز إنتاجه التقليدية في حضرموت وشبوة ومأرب(3) سيما وأن معظم أسس إنتاجه وطرق تربية النحل لا تختلف كثيرًا عن نظيراتها في مصر القديمة(4).

علاوةً على ذلك؛ فإن الأنواع السالفة الذكر والمتواجدة في حِمْيَر ماهي إلا دليل على نمو مطرد للإنتاج الحيواني حول حجم أعدادها المتوافرة ومدى كثرتها كما تذكر النقوش المسندية المعاصرة في ذلك الوقت، فنقش CIH 540 يذكر في السطور ٣٦ – ٤٢ عن استخدام حوالي ٦١٤ ,١ من الإبل و٢٠٠ ,١ من الحمير، وقدّم حوالي ٣٦٠ ,١ ذبيحة من الأغنام والكباش والأبقار؛ أي حوالي ٤٥٠ ذبيحة لكلّ واحد من العمال في السد و٢٠٠ ,١ أضحية بعير، كما أضاف إلى النفقات السابقة الذكر في السطور ٨٨ – ٩١ حوالي ٣٦٣ ,١ ذبيحة من الأغنام والكباش والأبقار، وألفًا من الحمير و٦٧٠ جملًا محملًا بالجرار المليئة بشراب العنب. وفي نقش B 47 يذكر سميفع أشوع (عندما كان قيلًا ولم يصبح ملكًا بعد) بأنه قام بحملة عسكرية هو وأبناء عمومته من أذواء يزن وجدن على أقاليم عمان حتى مضيق هرمز عام ٦٢٦ح الموافق ٥١٠ م، ويذكر في السطر التاسع أنهم اصطادوا خلال سيطرتهم على خورفكان الواقعة في رأس الخيمة حاليًا حوالي ١٠٠ حمار وحشي. وفي

---

(١) عبادي، عبداللطيف: الطيور اليمنية. مركز عبادي للدراسات والنشر. عدن، ١٩٨٩م. ص٣٠ – ٣٢.

(٢) الحمد: الاحوال الاجتماعية. ص٣٦٤.

(٣) الجرو: دراسات في التاريخ الحضاري. ص٣٢ – ٣٣.

(٤) النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية. ص٧٦.

نقش CIH 597 يذكر صاحبه الملك مرثد أيل في السطرين السادس والسابع عن الغنائم، والتي تشمل بعض الحيوانات والجمال الكثيرة إثر انتصارهم على المنشقين ضدّه في أرض عمان، وإن كانت أقل مما ذكر في نقشي الملكين السبئيين كرب أيل وتر الذي يرجع إلى القرن الأول قبل الميلاد (GL 1000) بحوالي ٢١٥ ألف رأس من الماشية، وشاعرم أوتر Ir) (12 الذي يعود إلى القرن الثالث الميلادي بحوالي ١١,٨٧٥رأس من الحيوانات المستأنسة، والملك الحضرمي يدع ال بن ربشمس (Ja 969) بحوالي ١٥٠ رأس من الحيوانات البرية، ويذكر نقش عنان 59 أن جيش الملك الحميري ياسر يهنعم استولى على ٤٥ حصانًا و١,٢٠٠ جمل وقتل ثلاثة أحصنة تابعة لأعدائه.

التعدين:

أما التعدين؛ فلقد ظل على مستواه المعتاد في الإنتاج كما في السابق دون زيادة أو نقصان على الرغم من تطور وسائلها التنقيبية والإنتاجية في مناجمها الرئيسية الخاصة بها في نجران وصعدة وتهامة وخولان وشبوة(١) التي تحولت على إثر ذلك عبر عمليات الحفر المتعددة في أماكن متفرقة من الموقع المستهدف إلى أنفاق طويلة بمخارج شبه دائرية مدعمة بدعامات خشبية متينة مصنوعة معظمها من العلب(٢) ومتصلة بطريق معبّد بالأحجار المتساوية نوعًا ما يسهل عملية نقل المعادن المستخرجة منها(٣)، ولاسيما بعد اكتشاف معادن جديدة في الأقاليم الواقعة ما بين سواحل البحرين(٤) وحتى الحجاز، والتي استولى عليها الحميريون

---

(١) الحمد: الاحوال الاجتماعية. ص٣٩٠ و٣٩٣.

(٢) دماج: المحاصيل الزراعية. ص١١٦.

(٣) النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية. ص١٦٨.

(٤) كان اسم البحرين قديما يطلق على الاقليم الجغرافي الواقع على جزء من الساحل الشرقي للخليج العربي وتشمل دولتي البحرين وقطر وساحل الاحساء بالمملكة العربية السعودية، اما الان فاضحى

خلال توسعهم الإمبراطوري السالف الذكر. ومن أهم المعادن المنتجة في تلك الحقبة الكبريت[1] والرصاص والأحجار الكريمة وبالأخص العقيق الأحمر والذهب والفضة والبرونز والنحاس[2] والقفاعة[3] والملح بنوعيه البحري والصخري والفحم الحجري[4] والعشم أو الذهب الأحمر[5] الذي كان يستخرج بكميات كبيرة لابأس بها دون أن تسهب المصادر والمراجع المتعلقة في تقديم تفاصيل دقيقة وكافية عنها حيث ذكرت بعضها على سبيل المثال بأن الرطل الواحد من هذا الذهب كان يقدر بحوالي ١٠٤ دينار[6] أي ما يوازي بأسعار الذهب في الوقت الحاضر حوالي ٤٨٠ , ١٥٦ , ١ دولار.

الصناعة:

وانعكس بدوره ازدهار النشاط التعديني إيجابًا على عجلة الإنتاج الصناعي المتحركة بوتيرة عالية أهلتها لاحتلال المرتبة الثانية بعد التجارة في سلم الاقتصاد الحميري آنذاك، حيث أضحت مصانعها الكبيرة بعدما كانت مجرّد معامل متواضعة لصهر المعادن تنتشر في أرجاء البلاد قاطبة؛ ولاسيما في المدن الرئيسية، وتستقطب زمرة من العمال المحليين المهرة

يطلق على دولة البحرين الحالية فقط، اقرا كتاب المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ل د/ جواد علي، ج١. ص٥٥٤.

(١) الحمد: الاحوال الاجتماعية. ص ٣٩٧.

(٢) النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية. ص٨٠ – ٩٢.

(٣) القفاعة هو نوع من انواع المعادن المحلية المنشأ حيث تتواجد في المرتفعات الغربية من اليمن ويعرف بمعدن النار لصعوبة استخراجه وتطويعه الا انه يوازي الذهب من حيث الوزن والقيمة، اقرا كتاب الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية في اليمن القديم. ص٣٩٢.

(٤) شرف الدين: تاريخ اليمن الثقافي. ص١٨٩.

(٥) الهمداني: صفة جزيرة العرب. ط٢. ص٢٣٢.

(٦) الحمد: الاحوال الاجتماعية. ص ٣٩٧.

الذين يصنعون كلّ شيء داخل هياكلها بدءًا من المسمار إلى السفينة[1]، مما يوحي لنا مدى تمكّن اليمنيين القدماء إجادة المزيد من الصناعات الجديدة إلى جانب نظيراتها القديمة والمتضمنة الآتي:

١. الصناعات النسيجية: ويتم صناعتها في دور الغزل والنسيج الملكية والخاصة[2] في مخاليف المعافر ومذحج في المناطق الوسطى ونجران وحضرموت[3] وتشمل الملابس والأقمشة، والتي برع اليمنيون القدماء فيها خلال تلك الفترة كمًّا ونوعًا، فبلغت بحدود المائة نوع، ومن أشهرها المذحجية والجيشانية[4] فاقت نظيرتاها في بيزنطة وفارس[5]، والغزل والنسيج والقضيم ونوع من أنواع الورق المستخدم في الكتابة وكان متداولًا في اليمن القديم ومصنوع من القماش لقدرته على مقاومة التلف الناتج عن الأتربة والغبار والرطوبة والحشرات[6]، والشملات السقطرية، وقماش كساء الكعبة المشرفة، والسجاد والبرود الصوفية، والحلل المذهبة والمعروفة بالعصائب، والأغطية والمفروشات القطنية وأشرعة السفن[7].

---

(١) الحمد: الاحوال الاجتماعية. ص ٣٩١.

) 2(HA 199/2.

(٣) الحمد: الاحوال الاجتماعية. ص ٤٠٧.

(٤) انظر كتاب اهل للدكتور نزار الحديثي. ص٥٥.

(٥) الفرح: الجديد في تاريخ سبا وحمير، مج٢. ص١٠٤١.

(٦) بيريسيبكين، اوليغ: اليمن واليمنيون في ذكريات دبلوماسي روسي، ترجمة: اسكندر كفوري واخرون. دائرة التوجيه المعنوي. صنعاء، ٢٠٠٥م. ط٢. ص١١٠.

(٧) الحمد: الاحوال الاجتماعية. ص ٤٠١ – ٤٠٢.

الصناعات المعدنية: وتتواجد أهم مراكزها في خولان وصعدة وظفار وصنعاء[1]، وتشمل صناعة المصنوعات الذهبية من الحلي[2] والتيجان والأساور والأقراط والخواتم، والأحزمة الفضية[3] من المجوهرات والنصال والأواني والخوذ العسكرية والخناجر، والحديدية كالسيوف والدروع، والآلات الزراعية تشمل المحاريث التقليدية والمعاول والفؤوس والمسحاة والمحش والمناجل، وأدوات البناء من المسامير الصغيرة منها والكبيرة والأزاميل والعتل والمطارق[4] والأبواب والصناديق المعدنية والمسكوكات والعملات المعدنية التي كانت تسك في دور رسمية في قوالب لصب النحاس الذائب محفور فيها النموذج المراد إصداره؛ لا عن طريق الضرب[5] واللوحات والتماثيل الذهبية والبرونزية[6].

٢. الصناعات العطرية والطبية: وهي من أقدم الصناعات التحويلية التي امتهنها اليمنيون القدماء منذ تصديرهم لمنتجاتهم من اللبان والمر واللادن من ظفار وحضرموت وقنا، والتي أضحت من أهم المراكز الصناعية لمشتقاتها فيما بعد، والتي شملت صناعة منتجات الأصباغ ومواد التجميل والعطور السائلة من اللادن والرند والكمكام والجافة من الضرو والقليمة والقسط والأدوية والعقاقير الطبية المعمولة من نباتات المر واللبان والخشخاش (الأفيون) والكتان

---

(١)الحمد: الاحوال الاجتماعية. ص٤٠٨.

(٢) العنسي: دراسة اثرية للقبر الملكي في العصيبية. العالمية للطباعة والنشر. صنعاء، ٢٠١٢م. ص٤٩ – ٥١.

(٣) الحمد: الاحوال الاجتماعية. ص ٣٨٨ – ٣٨٩.

(٤) النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية. ص١٧٢ – ١٧٥.

(٥) الحمد: الاحوال الاجتماعية. ص٤١٠.

(٦) النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية. ص١٧١ – ١٧٢.

والعنب والسمسم والسدر والأراك[1] والعرعر لعلاج أمراض الإمساك والإسهال والسعال والصداع واضطرابات الكبد والكلى والروماتيزم والربو والتخدير والالتهابات الجلدية والبواسير[2] وتسوس الأسنان والحمى والأوعية الدموية وفقر الدم والثعلبة (مرض جلدي ينتشر في الرأس) والعضل؛ مما يكشف لنا تطوّر الطب اليمني القديم بأشواط طويلة أكثر مما سبق[3].

٣. الصناعات الجلدية: تشمل النعال والأحذية وحقائب السفر الجلدية وقرب الماء وبسطات البذور وسروج الخيل والحمير وخيوط المومياء الجلدية.

٤. الصناعات الخشبية: وتشمل صناعة السفن الضخمة بمختلف أنواعها وقوارب الصيد وعربات النقل والأبواب الخشبية والسلال والحبال المشدودة لرفع الأحمال الثقيلة وسقالات البناء والأسرّة[4].

٥. الصناعات الزجاجية: وتشمل الجرار والأواني والأطباق[5] والمصابيح الزيتية[6].

٦. الصناعات الحجرية: وتشمل صناعة التماثيل الالباستر ومطاحن الحبوب ومقابض السكاكين والأعمدة الجرانيتية والرخامية وأحجار البناء والأواني الحجرية المصنوعة من الحجر الصابوني.

---

(١) دماج: المحاصيل الزراعية. ص٩٩ و١٠٠ و١٠٢ و١١٧.

(٢) عبدالعال: الطب القديم. ص٢٤ و٣٩ و٤٥ و٩٩.

(٣) دماج: المحاصيل الزراعية. ص٦٧ و١٠٠.

(٤) الحمد: الاحوال الاجتماعية. ص٤١٦ – ٤١٨.

(٥) النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية. ص١٨٧ – ١٩٦.

(٦) الحمد: الاحوال الاجتماعية. ص٤٢٠ و٤٢١.

٧. الصناعات الفخارية: وتشمل الأواني الممزوجة بالقش وألعاب الأطفال المصنوعة من الفخار.

١. الصناعات الغذائية: وهي من الصناعات الرئيسية، إلا أنها فقدت أهميتها في تلك الحقبة واقتصرت على صناعة الخمور وعصائر الفاكهة وحفظ اللحوم والأسماك والملح والألبان والزيوت والصمغ العربي[١].

٢. صناعات أخرى: وتشمل زيوت المصابيح والصابون[٢].

(١) النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية. ص١٧٦ – ١٧٩.

(٢) الحمد: الاحوال الاجتماعية. ص٤٢٠ و٤٢١.

التجارة:

أما بالنسبة للتجارة؛ فلقد حققت لليمن رخاءً منقطع النظير على الصعيدين الداخلي والخارجي فاق ما تحقق منه في عهود سابقة أيضًا، فعلى الرغم من اكتشاف البطالمة لسرّ الرياح الموسمية التي تساعد في تحرك السفن الشراعية من وإلى المحيط الهندي وانتزعوها من اليمنيين القدماء الذين ظلت حكرًا لهم لعقود مضت لخبرتهم الاحترافية في الملاحة البحرية وعلومها الطبيعية وقدرتهم على تجاوز مخاطرها بمهارة فائقة قلّ نظيرها آنذاك(١)، فضلًا عن إنشائهم العديد من المستوطنات والمستعمرات على طول سواحل البحرين الأحمر والعربي(٢)، إضافةً إلى تحريم الأباطرة البيزنطيين استخدام البخور والمواد المستعملة؛ ولاسيما اللبان داخل الكنائس في أرجاء إمبراطوريتهم خلال فترة تحريم الأيقونات بعد اعتماد سلفهم قسطنطينيوس الأول المسيحية دينًا رسميًا لها(٣) مما أثّر سلبًا على اقتصاديات الممالك اليمنية القديمة، إلا أن بعض المؤرخين يرى العكس تمامًا، فلم تؤثر سوى على الاقتصاديات الواقعة على طرق القوافل للتجارة البرية التي تمتد من ميناء قنا مرورًا بالحجاز وبادية الشام وصولًا إلى صور وغزة على سواحل البحر المتوسط(٤)، عكس نظيراتها الواقعة على سواحل البحر الأحمر والعربي(٥)، والبعض الآخر يرى أن الاقتصاديات اليمنية القديمة تدهورت مع تدهور التجارة فيها برًا وبحرًا على حدٍّ سواء، ويأتي رأي آخر مناقض لنظيريهما المذكورين سلفًا، وهو الأرجح بالنسبة لنا؛ هو أن الاقتصاد تدهور نسبيًا في سبأ

---

(١) الحبيشي، حسين: اليمن والبحر الاحمر. دار الفكر المعاصر. بيروت، ١٩٩٢م. ص٣٩.

(٢) بكر: تاريخ السودان القديم. ص١٧٠.

(٣) ربيع: دراسات في الدولة البيزنطية. ص٥٨.

(٤) امين: فجر الاسلام. ص١٢ – ١٣.

(٥) العبادي: اليمن في المصادر اليونانية والرومانية. ص٦٢.

ومعين مقابل ازدهار اقتصادي صاعد لحمير ومؤقت في قتبان وحضرموت، ولكنها لم تتسبب بانهيارها تمامًا حيث أن الطعنة التي لم تقتلك تقويك، بل إنها ساهمت في ازدهار موانئ اليمن القديمة، وأدّت إلى بروز نظيراتها الجديدة على ساحة التجارة الدولية في تلك الفترة بعدما تم تجهيزها بأفضل الأرصفة الحجرية لرسوّ السفن والمخازن والمستودعات المناسبة لاستقبال البضائع الصادرة والواردة وصوامع الغلال الصحية والمناسبة لتخزين الحبوب بكافة أنواعها(١)، وهي كالتالي:

١. موزع أو موشج: وعرفت في كتاب دليل البحر الأرتيري بموزا، وتقع على الساحل الشرقي للبحر الأحمر وتحديدًا ضمن مخلاف المعافر(٢)، ويعتقد بأنه تأسيسها يرجع إلى زمن الدولة الأوسانية، كما منذ ذلك التاريخ ظلّت محافظةً على ازدهارها التجاري على مرّ العصور قبل أن يتضاءل ويصاب بحالة من الركود النسبي في أواخر النصف الأول من القرن الخامس الميلادي، ومردّه إلى قربه الشديد من مضيق باب المندب؛ مما يجعله عرضةً للتجاذبات السياسية والعسكرية من الدول المواجهة له وحلفائها، مما دفع الحميريين على إثر ذلك إلى تحصينه وتحويله إلى مرسى عسكري تنطلق منه سفنهم الحربية لصدّ أيّ عدوان خارجي ضدّهم(٣)، إلى جانب أنه تميز بأرصفته الرملية الصالحة لرسوّ السفن والقوارب الصغيرة نوعًا ما، ورعاية الدولة اللامحدودة له منذ أواخر القرن الثالث الميلادي، مما جعله من أهم الموانئ التجارية على سواحل البحر الأحمر قاطبةً وأكثرها

(١) دماج: المحاصيل الزراعية. ص١٩٠.

(٢) هي تعرف حاليا بمنطقة الحجرية وتقع في محافظة تعز، اقرا كتاب (تاريخ اليمن القديم)، محمد بافقية. ص٢٣.

) 3(Ir 28/12 – 13.

ازدحامًا حيث كانت البلاد تصدر من خلاله المرّ والمرمر (الرخام الأبيض) والنبيذ والخيول والصحون الذهبية والفضية والنحاسية، وتستورد الملابس المطرزة بالذهب من ولاية سورية البيزنطية، والزعفران من إيران، والأقمشة القطنية والأحزمة والأغطية من ولاية مصر البيزنطية، وريش النعام والعاج والرقيق من أكسوم(١).

٢. المخا: يقع شمال ميناء موزع، ويشترك معه في تبعيته إلى نفس الإقليم، وأقدم ذكر له كان في إحدى النقوش المسندية التي تعود إلى عهد الملك كرب أيل يهنعم، ويذكر فيها قائد جيشه قيامه بتحصيل عائداتها الجمركية الضخمة النابعة من اكتظاظها بالسفن الأكسومية والبيزنطية والراسية على أرصفته والمحملة بالبضائع المتنوعة ٢ كالثياب الأرجوانية والبرديات الصوفية(٣).

٣. عدن: وهي من الموانئ القديمة أيضًا وأفضلها جميعًا لرسوّ السفن بفضل مياهه العميقة وطبيعتها الجغرافية المناسبة لذلك(٤)، لكنها ازدهرت مطلع القرن الرابع الميلادي بعدما شهدت تدهورًا كاد أن يصل إلى حدّ الانهيار في عهد الملك كرب أيل يهنعم(٥) بعدما انتزعها من القتبانيين خلال حربه لهم جرّاء إهماله المتعمد لها(٦)،

(Periplus Maris erythaen. chapter24. p61. 1(

) 2(Ir 28/14 – 16.

(٣) الحمد: الاحوال الاجتماعية. ص٤٥٩ – ٤٦١.

(٤) الجرو: دراسات في التاريخ الحضاري. ص٦٨.

(٥) يذكرنا تعامل الملك الحميري كرب ايل يهنعم السيء مع عدن بما قام به الرئيس السابق علي عبدالله صالح من تكرار لنفس التصرفات المذكورة اعلاها نحوها اثر انتصاره في حرب صيف ١٩٩٤م، اقرا كتاب بشير البكر (القبيلة تنتصر على الوطن). (د. ن) دمشق، ١٩٩٥م. ص ٦٢.

) 6(Periplus Maris erythaen. chapter24. p61.

وأضحت البوابة الرئيسية للتجارة البيزنطية والهندية تصدّر منها الأقمشة والأدوية والحلويات والمستحضرات الطبية[١]، كما أن تعبيد الطرق المتصلة بالميناء وأسواقه التجارية بمركز المدينة بالأحجار المصفوفة بشكلٍ ممتاز أدّى إلى رواجها بعدما أضحت محط جذب لأهم زبائنها ومعظمهم من السكان المحليين داخل المدينة وخارجها[٢].

٤. سقطرى: وقد كانت تتبع مملكة حضرموت قبل سقوطها على يد الحميريين[٣]، وتبرز أهميتها كإحدى الموانئ الجديدة على هذا الطريق السالف الذكر لموقعها الاستراتيجي الشديد بالقرب من الساحل الصومالي ومنطقة باب المندب، ومساهمتها في الاقتصاد اليمني القديم عبر تصديرها الأقمشة والمنسوجات المحلّية ومنتجات الأصباغ ومواد التجميل كدم الأخوين ودروع السلاحف[٤] ولاسيما أنها كانت محطّ استقطاب إقليمي على طول خطوط التجارة الدولية في منطقة المحيط الهندي جذبت عبر موقعها المذكور العديد من التجّار من الهنود واليونانيين والأحباش[٥] والرومان ورعاياهم من سكان ولاية سوريا[٦] الذين

---

(١) المقدسي، محمد بن احمد: احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم (د. ن) ليدن، ١٩٥٠م. ص٩٧.

(٢) الجرو: دراسات في التاريخ الحضاري. ص٧٤.

(٣) الحميري، امل: جزيرة سقطرى عبر التاريخ. مجلة الاكليل، العدد ٢٨. صنعاء، ٢٠٠٤م. ص١٣٧.

(٤) الحمد: الاحوال الاجتماعية. ص٤٥٣.

(٥) الجفري، زهور عبدالله: تاريخ اليمن، ج١. مركز الراية للنشر والاعلام. الدوحة، ٢٠٠٤م. ص٤٨.

(6(Barrette , marylene: la docteure claudie fayein , une figure francaise du yemen nous a quittes , la sixieme issue. chroniques Yemenites. institute francaise des archaeologies. Sana'a , 2001. p9.

أقاموا أسواقهم التجارية وأحياءهم الخاصة[1] بهم خلال القرنين الرابع والخامس الميلادي[2].

٥. جزر فرسان: حاليًا تقع ضمن أراضي جيزان في المملكة العربية السعودية، ولكنها فيما مضى كانت من أهم محطات التبادل التجاري بين اليمن والحبشة؛ ولاسيما أن سكانها المنتمين إلى قبيلة فرسان اليمنية كان لهم باع في قيادة الأساطيل البحرية واحتكار التجارة البحرية كوسطاء تجاريين على طول سواحل البحر الأحمر منذ القرن الرابع الميلادي قبل أن يخضعها الملك شرحبيل يكمل لسيطرته بالقوة العسكرية بسبب تواطئهم مع البحرية الحبشية واعتناقهم المسيحية وتسهيل مهمتها في احتلال الساحل الغربي لليمن أواخر القرن الخامس الميلادي[3].

٦. قنا: ظلت محتفظةً بمكانتها المتميزة في مجال الترانزيت على طرق التجارة البحرية الدولية على سواحل البحر الأحمر والعربي والمحيط الهندي[4] بعدما أضحت تابعة للاذوائية اليزنية كما أسلفنا من قبل[5]، وكان يصدر منها اللبان والمرّ، وتستورد الأرز والقماش والقمح من الهند[6].

) 1(Philby , harry saint: Sheba's daughters. London press. p100. (

(٢) الحميري، امل: جزيرة سقطرى عبر التاريخ. مجلة الاكليل، العدد ٢٨. صنعاء، ٢٠٠٤م. ص١٣٨.

(٣) الحمد: الاحوال الاجتماعية. ص٤٦٨.

(٤) الاغبري، بدر: التعليم في عدن خلال مدة ما قبل الاستقلال من سنة ١٨٣٩م حتى ١٩٦٧م. مجلة بينون، العدد الاول. جامعة ذمار، ٢٠٠٤م. ص٤٩.

(٥) حبتور: اليزنيون. ص٢٠٧.

(٦) الجرو: دراسات في التاريخ الحضاري. ص٧٤.

٧. موشا: وهو الاسم القديم لمنطقة خور روري الواقعة في ولاية صلالة التابعة حاليًا لسلطنة عمان[١] والتي كانت فيما مضى من أهم الموانئ التجارية لمملكة حضرموت، وكان مخصصًا لتصدير اللبان واستيراد البضائع الهندية الفارسية من أقمشة وثياب وجواري وأدوات معدنية إلى جارتها حمير منذ القرن الثالث الميلادي[٢] وتتميز بمرافقها الخدمية المجهزة بأفضل التجهيزات[٣] وإن كان انحصر دورها في الأمور العسكرية فقط[٤].

٨. قلهات: كان من أهم الموانئ لما كان يعرف بمملكة مجان التي ظهرت في الألف الثالث قبل الميلاد، واستمرت محتفظةً بمكانتها حتى بعد خضوعها للحميريين في القرن الثالث الميلادي، وبفضل مينائها المجهّز بأفضل التجهيزات، ويستقبل السفن الهندية والفارسية آنذاك، وأسواقها التجارية الزاخرة بالبضائع المتنوعة، وتستقطب اهتمام زبائنها من سكان المناطق الريفية المجاورة لها[٥].

٩. صحار: وهي تقع حاليًا في الساحل الشرقي لسلطنة عمان. وكان من أهم الموانئ التجارية في هذه المنطقة منذ تأسيسها على يد ملوك مجان في الألف الثالث قبل الميلاد، ويتميز بازدحامه بالسفن التجارية؛ ولاسيما اللائي يأتين من الهند وفارس والعراق، فتستورد منهم الأقمشة القطنية والبهارات والمواد العطرية[٦]، وتصدر من خلالها المنتجات النحاسية ومشتقات النيكل؛ حيث عدّ من أهم المراكز

(١) الحمد: الاحوال الاجتماعية. ص٤٦٧.

) 2(Periplus Maris erythaen. chapter24. p63.

) 3(Pire 1/3 – 6.

(٤) الجرو: دراسات في التاريخ الحضاري. ص١٠٢.

(٥) النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية. ص٢٥٨.

) 6(Periplus Maris erythaen. chapter24. p62.

اليمنية القديمة لتصديره حتى القرن السابع الميلادي مما جعله عرضةً لخطر الغزو الفارسي المستمر لها بغرض الاستيلاء عليها في عهد ملكهم قباذ الأول؛ سيما وأنها موقع استراتيجي بالنسبة لهم لقربها الشديد من مضيق هرمز(١).

١٠. مسقط: والتي عرفها بطليموس في خريطته باسم cyrplos portus(٢)، وهي واقعة جنوب ميناء صحار. وإن كان أقل أهمية منه بسبب أن أجزاء من مينائه غير صالحة للرسو، وعلى هذا الأساس يرجح أنها كانت ميناء للاصطياد السمكي ومخصص لقوارب الصيد القادمة من الخليج العربي فحسب(٣)، كما ذكرت التنقيبات التي أجريت في المنطقة المجاورة لها عن وجود مصاهر للنحاس الأصفر لا تزال تنتجه بكميات كبيرة(٤) معظمها كان يصدر إلى أكسوم وبيزنطة(٥).

كما أن التوسع الإمبراطوري الحميري في وسط شبه الجزيرة العربية وأطرافها الشمالية- الشرقية منذ منتصف القرن الثالث الميلادي أدّى إلى تحكم اليمنيين القدماء مجددًا بطرق التجارة البرية التقليدية والمستوطنات التي أنشاها أسلافهم السبئيين والمعينيين الواقعة عليها، وانتعشت وازدهرت على إثرها أسواقها التجارية التي استقطبت المزيد من السلع والتجار والزبائن مضافة إليها طرق التجارة البرية على طول سواحل الخليج العربي آنذاك؛ مما أثار تحفظات الفرس الساسانيين وحلفائهم المناذرة ومخاوفهم من أن يفلت زمام

---

(١) الجرو: دراسات في التاريخ الحضاري. ص٤٤ – ١٠٣.

(٢) وتعني الميناء الخفي باللغة اليونانية، اقرا (عمان في الالف الثالث قبل التاريخ الميلادي). هيستنجز، ا ؛ همفريزور، ج. ط٣. ص١٢.

(٣) النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية. ص٢٥٨.

(٤) هيستنجز، ا ؛ همفريزور، ج: عمان في الالف الثالث قبل التاريخ الميلادي. وزارة التراث القومي والثقافة. مسقط، ١٩٩٤م. ط٣. ص١٢.

(٥) كوبيسكانوف: اكسوم من القرن الاول الى القرن الثاني – تاريخ افريقيا العام، مج٢. ص٣٩٢.

التجارة البحرية المتجهة إلى الهند من أيديهم[1]. كما أدّت تلك التطورات السياسية في الساحة اليمنية لظهور أسواق جديدة تنافس نظيرتها القديمة؛ كنجران، وعسير، ويثرب، وديدان، والطائف، ومكة[2] (قبل تحرر المدن الأربع الأخيرة من الحكم الحميري منتصف القرن الخامس الميلادي)، وذلك يعود إلى اهتمام الدولة آنذاك بطريق القوافل التجارية، وتعبيدها بالأحجار، وإنشاء العديد من المساكن ومحطات الاستراحة والبيوت التجارية التي تجري فيها عمليات العقود التجارية (الصلت)[3] والبيع والشراء وتقديم القروض[4] وأعمال الصيارفة والتي كانت تسجّل على الورق والزبر[5] للأمور اليومية العاجلة وبمشاركة المعابد التي كانت تدار معظم تلك العمليات المالية داخل أروقتها، إلى جانب إغداقها على هذه المشاريع ببذخ[6]، ودون أن ننسى مساهمة الدولة في إصدار العديد من العملات المعدنية ذهبيةً كانت أم فضية، وتداولها في التجارة الخارجية[7]؛ مما يكشف لنا أن الضربة التي تعرض لها الاقتصاد اليمني القديم في ممالك الداخل والساحل على حدٍّ سواء على يد

---

(١) انظر نقش عبدان الكبير، السطر السابع، وانظر نقش Ry 483، السطر الثالث.

(٢) امين: فجر الاسلام. ص٢٤.

) 3(Res 3911/1 – 5

) 4(Fa 30 /3 – 5.

(٥) يقصد الباحث بالورق أي ورق القضيم والعسيب والزبر وثلاثتهم اكتشف في اليمن القديم، فالأول يصنع من القماش والثاني من شجر النخيل والثالث من النبات العادي، اما الوحل فيطلق على نوع من الالواح الخشبية التي كانت تنقش عليها نصوص وكتابات تتحدث عن الامور اليومية لعامة الناس في اليمن ومن المعتقد انها ظهرت خلال القرن الثاني الميلادي – انظر جواد علي في المفصل من تاريخ العرب قبل الاسلام، ج١٦. ص٨٠ – ٨٣، وانظر محمد حسين الفرح ف الجديد في تاريخ وحضارة سبا وحمير، مج٢. ص١٠٤١.

(٦) الحمد: الاحوال الاجتماعية. ص٥٠٦ و٥١٢.

(٧) الجرو: دراسات في التاريخ الحضاري. ص١٠٤.

البطالة بدلًا من أن تقتلهم زادتهم قوةً أكثر من ذي قبل، إلا أن استقلال الأقيال بوحداتهم الإدارية عنها بالتدريج كما أسلفنا من قبل أثّر سلبًا بالنسبة لعائدات الضرائب الضخمة والمحصلة منهم فتناقصت بشكلٍ كبير(١)، كما أفضت التجارة على الصعيدين الداخلي والخارجي في الأخير إلى تحول معظم أفراد المجتمع اليمني القديم آنذاك إلى زمرةٍ من المستهلكين لا همَّ لهم سوى إشباع رغباتهم وملذّاتهم عبر شرائهم لمزيد من البضائع غير الضرورية والإنفاق المبالغ فيه على مظاهر الترفّ والبذخ السائدة في تلك الفترة، وهي من الأسباب الأخرى التي أدّت إلى عجز في الميزانية العامة آنذاك، كما أنّ الاستيراد زاد على حساب التصدير؛ مما تسبب في عجز بالميزان التجاري أيضًا(٢).

الاقتصاد الحبشي القديم:

ولم تكن الحبشة تقلّ عن نظيرتها اليمن في ازدهارها الاقتصادي الذي كان يدعمه كما أسلفنا الذكر تحالفها مع الإمبراطورية البيزنطية، على الرغم من أن هذا التحالف لم يلغ التبادلات والعلاقات التجارية المزدهرة بين أكسوم وفارس(٣) حتى أواخر القرن السادس الميلادي تمامًا(٤)، وما زاد في ذلك أيضا أن استيلاءها على مملكة مروي جعلها دولة صناعية؛ ولاسيما في تصنيع الحديد والنحاس(٥) والفخار والأسلحة والأدوات الحديدية والمحاريث الزراعية والمجوهرات والأختام والعملات الذهبية والفضية (التي كانت تسكّ في دور خاصة تابعة لقصر زرران الملكي في أكسوم) ومواد البناء وتحديدًا الملاط والأقمشة

---

(١) الحمد: الاحوال الاجتماعية. ص٣٣٣ و٣٤٣ و٥٠٤.

(٢) الشيبة: افول الحضارة اليمنية. مجلة الاكليل، العددان ٣٣ – ٣٤. ص٣٦.

) 3(Marcus: history of Ethiopia. p7.

(٤) كوبيسكانوف: اكسوم من القرن الاول الى القرن الثاني – تاريخ افريقيا العام، مج٢. ص٣٩٣.

(٥)غالب: عرض موجز لتاريخ العلاقات اليمنية – الحبشية. ص١١٩ – ١٢٠.

والألواح والأدوات والمصابيح البرونزية والأواني الخزفية ومواد البناء والمنتجات الزراعية من صناعة اللحوم والألبان والعطور، وغيرها من المصنوعات التي وصلت إلى حدّ الإتقان والبراعة مستفيدين من خبرات نظرائهم المصريين والسوريين والبيزنطيين الذين يأتون إليهم بغرض التجارة والدعم العسكري أو نشر المسيحية في أوساط السكان المحليين، إضافةً إلى تصديرها لدول الجوار بكمياتٍ كبيرة(1) بعدما كانت تعتمد في بداياتها على تصدير المواد الخام فقط كالعاج والريش والرقيق فقط، وبالتالي أدّى إلى سعيها لتصنيع الأسلحة الحربية من السيوف والرماح والدروع والعربات الحربية(2) في تلك الحقبة والتي ساعدت في تطوير القدرة القتالية للجيش الأكسومي ولاسيما في عهدي عيزانا والاعميدا الثاني(3)، ومع ذلك؛ فإن هذا القطاع من المحتمل لم يساهم سوى بـ ١٠٪ تقريبًا من الناتج المحلي للدولة للأسباب التالية:

١. معظم المصانع الأكسومية -ولاسيما في مجال الصناعات الثقيلة في ذلك العصر- كانت مجرد خطوط إنتاجية فرعية للمصانع الكبيرة في بيزنطة ومصر التي تولت إنشاءها حيث أصبحت تحت إشرافها المباشر دون العودة بالضرورة إلى السلطات الرسمية.

٢. تراجع المنتجات الصناعية الأكسومية أمام نظيراتها المصرية من العباءات والأواني الحجرية والزجاجية والنحاس الأصفر، والهندية من الحديد والصلب

(١) كوبيسكانوف: اكسوم من القرن الاول الى القرن الثاني – تاريخ افريقيا العام، مج٢. ص٣٨٦ و٣٨٧ و٣٩٠ و٣٩٣.

(٢) ترسيسي، عدنان: بلاد سبا وحضارات العرب الاولى – اليمن العربية السعيدة. دار الفكر. دمشق، ١٩٩٠م. ص٣٣.

(٣) الاشبط: الاحباش في تاريخ اليمن القديم. ص١٦٤

والمنسوجات القطنية والمعاطف والأحزمة، والحميرية من المرّ والمنتجات العطرية والزجاجية والنحاسية والفضية التي أغرقت السوق الحبشية آنذاك(١).

٣. عجز الميزان التجاري الأكسومي؛ حيث طغت الواردات على حساب الصادرات(٢).

٤. كانت هذه المنتجات بالكاد تكفي حاجة السوق المحلية فقط.

(1(Marcus: history of Ethiopia. p6.

(٢) كوبيسكانوف: اكسوم من القرن الاول الى القرن الثاني – تاريخ افريقيا العام، مج٢. ص٣٩٣.

٥. معظم المنتجات الصناعية الأكسومية –ماعدا الصناعات المعدنية والثقيلة– كانت تصنّع في معامل صغيرة يديرها حرفيون مهرة نوعًا ما وغير رسمية، والتي تندرج تحت مفهوم الإنتاج المنزلي(١).

فضلًا عن أن موانئهم الرسمية عدوليس وسواكن الحالية(٢) وزيلع(٣) كانوا ينافسون نظرائهم في الساحل اليمني المخا وعدن وموزع منافسة شديدة سعيًا وراء استقبال السفن التجارية من أرجاء المعمورة على الرغم من التبادل التجاري فيما بينهم أولًا كمحطات ترانزيت فعّالة على المستويين الإقليمي والدولي، وثانيًا سعيهم الدائم في السيطرة على التجارة البحرية جنوب البحر الأحمر وتحديدًا منطقة باب المندب منطلق الاحتكاكات الحربية بين اليمن والحبشة منذ القرن الأول قبل الميلاد(٤)، وثالثًا سعي الموانئ الأكسومية للتحول إلى وسيط تجاري بديل عن نظيراتهن الحميرية للسوق الهندية وبضائعها الصادرة منها والواردة إليها على حدٍّ سواء، وان كانت موانئ الأولى تفتقر للتجهيزات الأرصفة المناسبة لاستقبال البضائع وتوريدها، حيث كانت متواضعة مقارنة بمثيلاتهن في الأخيرة، وفعلًا وصلت عبرها تجارة الحبشة من قبلها إلى السواحل الغربية للهند في تلك الفترة، وبالتالي التعامل مع ممالكها بشكلٍ مباشر دون الحاجة إلى الاستعانة بالتجّار اليمنيين كما في

---

(١) هو مصطلح اقتصادي ظهر في ايطاليا خلال عصر النهضة يقصد به المعامل او المؤسسات او المصانع الصغيرة التي تنشئها العائلات ولاسيما الحرفية منها في بيوتها او املاكها العقارية الخاصة بها وفي الغالب هي غير رسمية مما يجعلها عادة تتعرض لاستغلال التجار المستوردين لبضائعهم دون حماية قانونية او رسمية من الدولة او نقابة تدافع عن حقوقها الاساسية، اقرا كتاب (موجز تاريخ اوروبا الحديث) ل د/ زينب عصمت عبدالعزيز. ص٣٤.

) 2(Marcus: history of Ethiopia. p6.

) 3(Periplus Maris erythaen. chapter (6). p32.

(٤) الشيبة: محاضرات في تاريخ الحبشة القديم. ص٩٨ – ٩٩.

السابق، إلى جانب إنشاء التجار الأكسوميين أحيائهم وأسواقهم التجارية الخاصة بهم على طول طرق القوافل التجارية البرية الممتدة إلى سوريا وفلسطين وتحديدًا في نجران وينبع والشعيبة[1] بدعمٍ من الحاميات العسكرية الأكسومية[2] المنتشرة على طول الساحل الشرقي للبحر الأحمر منذ القرن الأول الميلادي[3] مما جعلهم في صدامٍ مستمرٍ مع نظيراتها الحميرية التي كانت بدورها تحمي سفن تجّارهم المحليين وأحيائهم ومستوطناتهم البشرية والعسكرية على طول الساحل الأرتيري منذ القرن الثالث الميلادي[4] فيها حيث كانوا يستوردون من اليمن المنتجات الزراعية والصناعية الرائجة هناك[5]، إضافةً إلى أنها كانت محطّ جذب للتجار الرومان والإغريق والهنود، واستقطبت استثماراتهم في مجالات المنسوجات والرقيق والتعدين بفضل الإعفاءات الجمركية التي كانت تقدمها الدولة الأكسومية لهم بغرض الاستفادة من الدعم الاقتصادي والعسكري في مخططاتها التوسعية للاستيلاء على سواحل القرن الإفريقي واليمن على حدٍّ سواء، سيما أن أكسوم أضحت على إثر سقوط مملكة مروي تتحصل على عائدات كبيرة من طرق القوافل التجارية الممتدة على طول جنوب شرق النيل الأزرق المتجه صوب مصر، مما دفع بيزنطة إلى تمتين علاقاتها الاقتصادية والسياسية والعسكرية معها[6]، إضافةً إلى أن امتلاك الملك وحاشيته والنبلاء لمعظم الأراضي الزراعية والموارد الاقتصادية[7] قد ساعدها في تحقيق مآربها بالتحكم

(١) وهي تعرف حاليا بمدينة جدة الواقعة على الساحل الغربي للمملكة العربية السعودية على البحر الاحمر، اقرا كتاب (تاريخ عصر النبوة والخلافة الراشدة)، د/ عبدالرحمن الشجاع. ص١٢٠.

(٢) الشيبة: محاضرات في تاريخ الحبشة القديم. ص١٧٠.

(٣) الاشبط: الاحباش في تاريخ اليمن القديم. ص١٤٥.

(٤) عثمان: كتابات في التاريخ الاجتماعي. ص٢٥٠.

(٥) كوبيسكانوف: اكسوم من القرن الاول الى القرن الثاني – تاريخ افريقيا العام، مج٢. ص٣٩٢ – ٣٩٤.

(٦) اسماعيل: تاريخ مصر والسودان. دار الشوكاني للطباعة والنشر. صنعاء، ٢٠٠٤م. ص٢٤٥.

(٧) كوبيسكانوف: اكسوم من القرن الاول الى القرن الثاني – تاريخ افريقيا العام، مج٢. ص٣٩٠ – ٣٩٢.

بأكسوم وما حولها[1]، كما أن المصادر التي تتحدث عن الزراعة خلال تلك الفترة نادرة جدا وإن كنا نستشف منها ضعف الإنتاج الزراعي حينها بسبب عدم اهتمام ملوكها الأوائل الكافي بتطوير مشاريع الري فيها على الرغم من أن الحبشة كانت مليئةً بالأنهار والبحيرات كالنيل الأزرق وبحيرة تانا مما يجعل البلاد على ما يبدو تتعرض للعديد من حالات الجفاف المستمرة تصل إلى حد إهلاك الحرث والنسل معًا[2]، فضلا عن تمتعها وامتلاكها لمساحات واسعة من الأراضي الخصبة القابلة للزراعة والتي معظمها لم يستغلّ بعد[3] على الرغم من أنهم استقوا أنظمتها التقنية من نظيراتها في اليمن القديم دون تطوير فيها كالمدرجات الجبلية والسدود التخزينية والتي كانت محصورة في الأراضي الزراعية المملوكة للملك وطبقتي النبلاء ورجال الدين، والتي كانت تعدّ حينها من أخصب الأراضي الصالحة للزراعة في الحبشة آنذاك؛ لما تحتويه من إمكانيات كبيرة واهتمام خاص بها حيث كانت زراعة معظم المواد الضرورية كالشعير والحبوب في هذا البلد قد عرفت ازدهارًا واسعًا وصلت إلى حدّ التصدير دون أن يمنعهم من استيرادها والأرز والسمسم والتوابل لتلبية حاجتهم الاستهلاكية المتزايدة لها[4] ولاسيما في عهد الملك عيزانا حيث أنه قام باستصلاح العديد من الأراضي الزراعية في البلاد، إضافةً إلى وجود العديد من الحدائق المليئة بالورود

(١) هناك بعضا من المؤرخين من يرى ان البيزنطيين كانوا يتدخلون في الحكم ويتواطؤوا في اسقاط أي ملك يعارض نفوذهم في الحبشة وخير دليل على ذلك ما حدث مع الملك كالب ثم ابنه الذي خلفه في الحكم، انظر نقش ابرهة الكبير – السطرين الاول والثاني، وكتاب التوحيد في تطوره التاريخي لثريا منقوش. ص١٠١ – ١٠٢.

) 2(McCann , James: people of plow: an agricultural history of Ethiopia , 1800 – 1990. Chicago press , 1991. p96 – 97.

) 3(Barker: the Nile's tributes of Abyssinia. p11 – 19.

(٤) كوبيسكانوف: اكسوم من القرن الاول الى القرن الثاني – تاريخ افريقيا العام، مج٢. ص٣٨٦ و٣٩٠ و٣٩٤.

والأزهار الفريدة من نوعها هناك[1]، بل وصلت إلى حد تصدير ما فاض من إنتاجها الكلّي إلى الموانئ المصرية واليمنية والهندية بجانب مثيلاتها الزراعية الأخرى كالعنب والزيوت النباتية وبالتالي تبعه ازدهار في الإنتاج الحيواني أيضًا، فانتشرت تربية الأغنام والأبقار والضأن والأفيال والماعز والسلاحف ووحيد القرن التي تجلب من السودان والصومال[2]، الجدير بالذكر أن نقوش الملوك الأكسوميين الحربية التوسعية كانت تحفل بأعداد كبيرة من الحيوانات التي تمّ الاستيلاء عليها ولاسيما في الأقاليم والدول التي أخضعها لسيطرته، ففي نقوش الملك عيزانا (انظر الجدول رقم ٢) يذكر في إحداها عبر السطور ١٧ – ٢٢ بأنه خلال استيلائه على مروي غنم حوالي ٣٢ ألف رأس من البقر و٥١ ألف من الضأن [3]، وفي نقش آخر له يذكر أنه وزّع غنائمه على عائلته وحاشيته الحاكمة، والتي بلغت في السطرين ٦ و٧ حوالي ٣,١١٢ رأس من البقر والكباش والدواب و١١ ألف رطل من لحم البقر، وفي السطر السابع عشر بلغ حوالي ٢٥,١٤٠ رأس من البقر[4]، وبلغ مجموع أعدادها بكلا النقشين حوالي ١٢٩,٢٨٩ رأس ورطل.

(١) العارف: الاحباش بين مارب واكسوم. ص٤٩ – ٥٠.

(٢) كوبيسكانوف: اكسوم من القرن الاول الى القرن الثاني – تاريخ افريقيا العام، مج٢. ص٣٨٦ و٣٩٠ و٣٩٤.

) 3(D. A. E 10/17 – 22.

) 4(D. A. E 6/6 – 7,17.

الفصل الثاني:

العلاقات الاقتصادية بين اليمن والحبشة في القرن السادس الميلادي

المبحث الأول:

التبادل التجاري بين البلدين

الصادرات والواردات الزراعية والحيوانية:

كما أسلفنا من قبل بأنه لم تذكر المصادر الأثرية والتاريخية الراصدة للقرنين الخامس والسادس الميلاديين على حدٍّ سواء إحصائيات دقيقة أو تقديرية عن الإنتاج الزراعي والحيواني والكميات المنتجة منه أو حتى المدّة الزمنية التي تمّت فيها تلكم العمليات بين البلدين، إلا أنه لا ينفي بالضرورة وجود ازدهار نسبيّ في نموهم الإنتاجي بدأ مطلع القرن الرابع الميلادي، وبدأ يضمحل على إثر الغزو الحبشي الثاني عام ٥٢٥م، ولاسيما بعد حكم الملك الذي نصبه الغزاة الجدد سميفع أشوع (٥٢٥ – ٥٣٣ م) والذي تذكر بعض المصادر من أن اليمن شهد في عهده أفضل فترات الرخاء الاقتصادي النسبيّ خلال الاحتلال الحبشي[1]؛ للأسباب التالية:

١. إقامته علاقات مباشرة مع الدولة البيزنطية؛ حيث عقد معها اتفاقيات على الصعيدين السياسي والاقتصادي بغرض التحرر من الهيمنة الأكسومية.

٢. حمايته الإنتاج المحلي من منافسة الإنتاج الأكسومي.

٣. محاولة فرض السلطة المركزية على أرجاء البلاد.

٤. محاولته تقليص سيطرة مراكز القوى الاجتماعية ولاسيما الأقيال والأذواء على النشاطات الرئيسية في الاقتصاد المحلي القديم[2]، وإعادة العديد من الأراضي المنهوبة من قبلهم وتحديدًا من قبيلته اليزنية لأصحابها الأصليين الذين شكلوا

(١) احمد: عرض موجز لتاريخ العلاقات اليمنية – الحبشية. ص١٣٤ – ١٣٥.

(٢) سمسم: العلاقات بين شبه الجزيرة العربية والحبشة. ص١٨٧ و٢٥٤.

لأنفسهم وبمساعدته جمعيات زراعية تتولى الإشراف عليها وتسويق حصادها للأسواق التجارية فيما يشبه إلى حدٍّ ما قوانين الإصلاح الزراعي(١).

٥. إصلاحه العديد من المنشآت الإروائية الخاصة بالأراضي الزراعية المملوكة للدولة والصهاريج المركزية في المخاليف والمدن الرئيسية، وحلّ المشاكل المتعلقة بها منذ النصف الثاني من القرن الخامس الميلادي(٢).

٦. بناء العديد من المنشآت الإروائية من السواقي والأفلاج وسدود التصريف والآبار العميقة بالتعاون مع ما يشبه الجمعيات الزراعية المحلية في حضرموت وقنا وعدن(٣).

٧. تدهور الاقتصاد اليمني القديم في عهد خلفه أبرهة حيث أضحت اليمن سوقًا للمنتجات الحبشية والبيزنطية على حساب نظيراتها المحلية، وأصيبت ميزانية الدولة في عهده بعجزٍ كبيرٍ فيها، والناتج عن إنفاقه المتزايد على الجيش وتجهيزاته العسكرية لقمع الثورات الداخلية التي حدثت على إثر توليه السلطة وحكمه اليمن حكمًا شبه مستقلّ عن الحبشة في عهد ملكها رمحس أو جبري مسقل(٤)، ولاسيما أنه سعى منذ اللحظة الأولى إلى بسط سلطته المركزية على أرجاء اليمن والقضاء على المخاليف ذات الحكم الذاتي التي تحوّلت -كما أسلفنا من قبل- بمرور الوقت إلى دول شبه مستقلة، إضافةً إلى أن التجارة أصبحت موجهة إلى بلدين فقط ألا وهما الحبشة وبيزنطة؛ مما أضعف سيطرة اليمنيين على طرق

(١) فرانيتسوزوف: تاريخ حضرموت الاجتماعي. ص٧٧.

3 –) CIH 621/1 2(

(٣) فرانيتسوزوف: تاريخ حضرموت الاجتماعي. ص٧٧.

(٤) نقش ابرهة الكبير، السطر الثاني.

القوافل التجارية البرية ليحل الحجازيون محلّهم[1] في ذلك، فضلًا عن إهماله في ترميم وإصلاح المشاريع المائية الإروائية لتحسين الزراعة وتطويرها أكثر مما يجب بعدما أدت النزاعات الدينية والقبلية والاجتماعية والاقتصادية قبيل الغزو وبعده ولازالت مستمرة على إثره إلى هجر العديد من المزارعين لأراضيهم البائرة ومجاريها المائية التي أضحت من شدّة إهمالهم والدولة عديمة النفع والجفاف ينخر فيها بعدما صدئت بوابتها من الطمي المتكدس عليها دون ترميم[2]. وإن كان قد قام بإصلاح سدّ مأرب لآخر مرةٍ في حوالي ٥٤٥م[3]؛ فلأغراض سياسية وأمنية بحتة[4]، حتى السدود والمشاريع المائية التي أنشأها في عهد معد كرب بن سميفع أشوع أو سيف بن ذي يزن (٥٧٣ – ٥٩٥م) لم تغير شيئًا أو تحسّن الوضع الإنتاجي في هذا الحقل كما في السابق[5] مما أثّر سلبًا على الإنتاج الزراعي والحيواني والذي لم نجد عبر مصادرنا المتوافرة حاليًا جداول أو إحصائيات دقيقة

(١) الحمد: الاحوال الاجتماعية. ص٣٥٣.

(٢) شاربونييه، جوليان: الري في اليمن ما قبل الاسلام – حالة الابحاث الجارية في الكتابات الغربية، مجلة حوليات يمانية. المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية. صنعاء، ٢٠٠٩م. ص٣٧ – ٣٨.

(٣) نقش ابرهة الكبير، السطور٢٣ – ٣٠.

(٤) هناك بعض الآراء تعزي قيام ابرهة بترميم سد مارب آنذاك سعيا وراء كسب الدعم من قبل الحبشة وبيزنطة وعدوتها اللدود فارس وحلفائها من اجل قطع الطريق على الثوار بقيادة يزيد بن كبشة في محاولتهم طلب العون العسكري والمادي منهم ضد الاحتلال الحبشي – انظر كتاب المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد علي، ج٣. ص٢٠٣.

(٥) يذكر بعض الباحثين ان سيف بن ذي يزن بنى العديد من السدود المائية في شمال اليمن والتي لاتزال تروي اراض زراعية بأكملها وتمد سكانها بماء الشرب الى يومنا هذا، ومن اهمها سد الخانق الموجود في صعدة منذ عام ٥٨٥م – انظر كتاب الاكليل لأبو الحسن الهمداني، ج٨. ص١١٥ وكتاب الجديد في تاريخ وحضارة سبا وحمير لمحمد حسين الفرح، مج٢. ص١١٤٧.

تدلّ على مستواه الإنتاجي ومدى تطوّره وازدهاره أو تدهوره واضمحلاله، والأمر سيّان مع الصادرات والواردات الحيوانية، ولكي نسبر غور هذه النقطة وبالتحديد خلال هذه الفترة الزمنية الحرجة سوف نستعرض كافة المصادر والمراجع المتعلقة بالتاريخ اليمني القديم حول الصادرات الواردات الزراعية اليمنية آنذاك، ونبدأ من:

١. المصادر النقشية والأثرية: لم تذكر العديد من النقوش الصادرة في تلك الفترة شيئًا عن هذا الموضوع باستثناء ما يتعلق بحجم الإنتاج الزراعي والحيواني في البلاد تحت الاحتلال، فقد ذكر نقش أبرهة الكبير في السطور ١١٧ – ١٣٠ الكمّيات المستهلكة خلال عملية إصلاح سدّ مأرب، والتي بلغت حوالي ٥٠,٨٠٦ يدع ال من الدقيق، و٢٦ ألف يدع ال من التمر، و٣ آلاف رطل من لحم البقر، و٧ آلاف رأس من الضأن والماعز، و٣٠٠ قدر من قدور خمور العنب الأسود والأبيض على حدٍّ سواء و١١ قربة من مشروب الحليب والتمر[١]، ومن قبله يذكر نقش Ja 1028 في السطرين ١٠ و١١ بأن قادة جيش يوسف أسار يثار المحاصرين لنجران استولوا على ٢٩٠ ألف رأس من الماشية وموزعة إلى ٩٦,٦٦٦ رأس من البقر و٩٦,٦٦٦ رأس من الإبل و٩٦,٦٦٦ رأس من الضأن[٢]؛ مما يكشف لنا أن الإنتاج الحيواني مازال في قمة ازدهاره رغم تردّي نظيره الزراعي، ومن المحتمل أنه تم تصدير ما فاض منه إلى أكسوم، كما أن نقش Ry 508 الذي يعود تاريخه إلى العام ٥١٨م في السطور ٤ – ٦ يذكر أن جيش

---

(١) نقش ابرهة الكبير، السطور١١٨ – ١٣٠.

11. –) Ja 1028/10 2(

الملك يوسف أسار يثار بعد استيلائه على المخا وجزيرة فرسان استولى على حوالي ٢٨٠ ألف جمل من خصومه(١).

٢. المصادر الكلاسيكية: تعود معظمها إلى الفترة الزمنية الممتدة ما بين القرن الأول إلى القرن الرابع الميلاديين، بمعنى آخر؛ لم تعاصر فترة القرن السادس الميلادي، حتى أهم مصدر فيها ألا وهو دليل البحر الأرتيري أو البربيلوس يعود تاريخه على الأرجح إلى القرن الثالث الميلادي، لكن المعلومات الجغرافية بمنطقة البحر الأحمر وما حولها والتفاصيل المتعلقة بحجم التبادل التجاري بين البلدان الواقعة فيها يؤكد أنه من الواضح أنه لم يطرأ أيّ تغيير كبير يُذكَر حول نوعية صادراتها ووارداتها خلال تلك الحقبة على مرّ العصور(٢) وبالتحديد بين اليمن والحبشة؛ حيث مازال القمح والشعير والمواشي ودروع السلاحف والمرّ الحضرمي والبن مضافًا إليها منتج جديد ألا وهو المرّ السقطري(٣) عن الجانب اليمني أمام الأزهار والزيوت النباتية والعنب والعسل والحيوانات البرية كالزرافات والغزلان وجلود الأسود والنمور المنقطة التي كانت يتم اصطياد كميات كبيرة منها في أعالي النيل الأزرق بالإضافة إلى منتج جديد عُدَّ من أهم الصادرات الزراعية إلى الهند ألا وهو القرفة والقات عن نظيره الحبشي(٤).

٣. المراجع الإسلامية: مثل المصادر النقشية؛ لم تذكر شيئًا عن الصادرات والواردات الزراعية والحيوانية لليمن من وإلى الحبشة في تلك الحقبة، إلا انها ذكرت بعضًا

---

6. –) CIH 508/4 1(

(٢) الشيبة: دراسات في تاريخ اليمن القديم. ص٢٣٧ – ٢٥٦.

(٣) دماج: المحاصيل الزراعية. ص٩٠ – ٩٤.

(٤) العارف: الاحباش بين مارب واكسوم. ص٤٩ – ٥٠.

من الصادرات الفارسية والهندية المشابهة إلى البلاد آنذاك؛ كالفواكه والمكسرات، وعن الإنتاج الزراعي والحيواني حسب رأي معظمها لازال محتفظًا برخائه الاقتصادي السالف الذكر، حيث ذكر أبو الحسن الهمداني في كتابه (صفة جزيرة العرب) عن الحقول الزراعية الخصبة في صنعاء وعسير ونجران ونوعية المحاصيل الموجودة فيها والمتمثلة بالتمر والورس واللبان والعنب والمحاصيل الطبية والعطرية والحبوب والبقوليات، وتمتعت مخاليف خيوان والجوف والجند وأرحب بثروة كبيرة ومتنوعة من الأبقار والعجول والجمال والحمير والخيول وإنتاج كبير من الحبوب والفواكه بكافة أنواعها من العنب والخوخ والرمان واللوز(١) دون أن يذكر إحصائيات رقمية توضح كمياتها المنتجة إلا أنه بالتأكيد أمام هذا الإنتاج الكبير فإن ما يفيض منه عن حاجة السوق المحلية سيتم تصديره إلى الخارج، كما أن سقطرى كانت تنتج كمياتٍ كبيرة من الزبدة السقطرية المعروفة بالزبدة المحروقة(٢) وما يفيض عن حاجة السوق المحلية يتم تصديره إلى شرق أفريقيا؛ ولاسيما الحبشة والصومال التابعتين لأكسوم حينذاك(٣).

٤. المصادر السريانية: تحدثت بعض منها وتحديدًا قوانين الحميريين أن نجران أضحت من مراكز تصدير المنتجات الزراعية إلى الحبشة(٤) كالفواكه، والحيوانية

---

(١) الهمداني: صفة جزيرة العرب. ص٣١٤ و٣١٨ و٣١٩ و٣٢٠.

(٢) نوع من الزبدة المحلية والمستخلصة من حليب الابقار الجبلية هناك، وسميت بالمحروقة لأنها كانت تحرق بالفحم لتذويبها فتجفيفها في الهواء الطلق، اقرا مقالة امل عبدالمعين الحميري (جزيرة سقطرى عبر التاريخ). ص١٣٦.

(٣) الحميري: جزيرة سقطرى عبر التاريخ. ص١٣٦.

(٤) بيجوليفسكايا، ب. ف: اثيوبيا وحمير في القرنين الخامس والسادس الميلاديين، ترجمة: قائد محمد طربوش. مجلة الاكليل، العدد٢٦. صنعاء، ٢٠٠٢م. ص١١١.

كالعسل، وتستورد منها الرقيق بكميات هائلة جعلتها سوقًا رائجة لذلك ومنافسة لنظيراتها في مكة والطائف[1].

(١) الهمداني: صفة جزيرة العرب. ص ٣١٩.

الصادرات والواردات الصناعية:

نفس الشيء ينطبق على الإنتاج الصناعي اليمني الذي بدأ بدوره يتدهور في عهد أبرهة، وإغلاق العديد من مصانع الدولة ماعدا المنشآت الصناعية الخاصة القليلة التابعة لبعض الأعيان والتجّار المحليين الموالين للمحتلّ جعل بضائعها المصدرة إلى الخارج أقلّ سعرًا ورواجًا أمام نظيرتها الحبشية التي سرعان ما بدأت تغرق سوقها المحلية بمنتجاتها المتنوعة كالأواني الخزفية والتماثيل والعقيق الأحمر والمنتجات القطنية والحديدية والعطور والتوابل، فضلًا عن أن اليمن أضحت صادراتها حكرًا على السوق الأكسومية دون غيرها[1] سيما وأنها تحمل على متن السفن الأكسومية فقط وتتعرض لكثير من الإجراءات التعسفية الإدارية، وذلك مردّه إلى:

١. سعي الأحباش وحلفائهم البيزنطيين إلى محاربة الاقتصاد اليمني القديم المزدهر منذ عقود، ومحاولة خنقه عبر إغراقه بالمنتجات المستوردة[2] وإهمال مثيلاتها المحلية.

٢. عدم قدرة الاقتصاد الحبشي على منافسة نظيره اليمني المتفوق عليه في كافة الحقول الإنتاجية والمستقل عن أيّ سيطرة خارجية آنذاك، حيث لم يتعافَ الاقتصاد اليمني القديم بعد الاحتلال تمامًا، وأضحى يعاني من عجزٍ كبيرٍ في الميزان التجاري جرّاء إجراءات أبرهة الضريبية ضدّه، ولاسيما ضدّ الصناعة بحيث أصبح يصدّر المواد الخام فحسب.

(١) كوبيسكانوف: اكسوم من القرن الاول الى القرن الثاني – تاريخ افريقيا العام، مج٢. ص ٣٩٤.

(٢) العنسي: دراسة اثرية للقبر الملكي. ص٤٧.

٣. أخضع أبرهة معظم المؤسسات الصناعية العامة الرئيسية في البلد لسيطرة التجّار ورجال الصناعة الأكسوميين بعد أن صادرها وباعها لهم حتى يستفيدوا من قدراتها الإنتاجية الفائقة المستوى آنذاك[١].

٤. لم تكن تسجّل هذه الصادرات في الأرشيف الملكي التجاري الأكسومي كنظيراتها الهندية والمصرية والبيزنطية[٢].

٥. الصادرات اليمنية في عرف القادة الأحباش مجرّد أسلاب وغنائم من دولة عدوة سابقًا ثم تابعة ومهزومة لاحقًا كنظيراتها في النوبة والسودان والصومال.

إلا أنهم استثنوا من ذلك الصناعات الزجاجية كالمصابيح والمرايا والأواني المنزلية الفخمة[٣] والحربية كالسيوف والرماح والدروع والسهام والعربات الثقيلة والسروج الجلدية المطعمة بالفضة التي احتفظت بشهرتها حتى بعد خروج الأحباش من اليمن عام ٥٧٢م، وشهدت تطورًا كبيرًا إبان تلك الفترة حيث كانت تشكل ٥٠٪ من الأسلحة الموجودة في الجيش الحبشي في اليمن، علاوةً على ذلك أن الصناعات التعدينية لم يخبو نشاطها كثيرًا على الرغم من تقلّص نسبة عدد المناجم بشكلٍ كبيرٍ في المدن الرئيسية، فلقد ذكر الهمداني في كتابه (صفة جزيرة العرب) انتشار العديد من المناجم الجديدة في أطراف البلاد ما بين شمال صنعاء صعودًا إلى صعدة، وتنتج كميات كبيرة حسب رأيه من الرصاص والعقيق والحديد، إلى جانب استخراج معادن جديدة منها البقران والحديد الجبلي والحجر السماوي المستخدم في البناء، والبلّور والمسني المستخدم في صناعة مقابض

) Marcus: history of Ethiopia. p10 1(

(٢) كوبيسكانوف: اكسوم من القرن الاول الى القرن الثاني – تاريخ افريقيا العام، مج٢. ص ٣٩٢ و٣٩٣ و٣٩٤ و٣٩٥.

(٣) كوبيسكانوف: اكسوم من القرن الاول الى القرن الثاني – تاريخ افريقيا العام، مج٢. ص ٣٩٢.

السكاكين والخناجر[1]، كما ذكر أبرهة في نقشه الكبير بعضًا من مدى نمو الإنتاج الصناعي ولاسيما التعدينية منها وازدهارها النسبيّ وتحديدًا في السطور ٥٧ – ٧١ المتعلقة بترميم سدّ مارب الذي دُشِّنَ عام ٥٤٧م وانتهى عام ٥٤٨م عن قيام العاملين فيه بصهر معدني الرصاص والنحاس لسدّ الثغرات، صنع الأحجار الرخامية للجدار الجديد وصقلها بشكلٍ مُتساوٍ وربطها بالملاط كمادّةٍ رابطةٍ شبيهةٍ بالأسمنت مستخدمين بشكلٍ محتمل أدوات الحفر وتقطيع الصخور كالمعاول والفؤوس والرفش ورافعات الحجارة والسقالات الخشبية المحلية الصنع ومن النوع الممتاز (انظر الجدول رقم٥)[2]، فضلًا عن انتشار العديد من الملاحات والمحاجر الصناعية الجديدة في شبوة وحضرموت مستفيدةً من إصلاحات سميفع أشوع الاقتصادية وإنتاجها الكبير لملح الطعام والملاط ومواد البناء[3]، إضافةً إلى أن حوالي ٥٠٪ تقريبًا من صادرات تلكم الصناعات اليمنية السالفة الذكر شحنت إلى الحبشة. وعلى الرغم من أن الأخيرة أحرزت تقدمًا في حقل التصنيع الحربي والمعدني كالأواني المنزلية والسيوف والدروع المغطاة بالجلد لا يقل شأنًا عن نظيرتها اليمنية؛ إلّا أنها كانت تفضّل الاستيراد منها بشكلٍ كبيرٍ لعدم قدرته على تغطية احتياجات السوق المحلية المتزايدة عليها، إضافةً إلى المنسوجات والملابس التي احتلّت صدارة واردتها من اليمن بنسبة ٧٠٪ تقريبًا كما في الماضي، والتي شملت الحلل الفاخرة التي كانت تنتج في المناطق الوسطى، وهي نوع من القطن الممتاز لخلوّه من الشوائب الكثيرة خلال عملية حصاده، والشملات السقطرية، والبرديات الصوفية التي غزت أسواق مكّة أكثر من ذي قبل في تلك الفترة على الرغم من أن معظمها أنتج في منشآت خاصة وليست عامة[4]،

(١) الهمداني: صفة جزيرة العرب. ص٣٢٠ و٣٢١ و٣٢٣.

71. –) CIH 541 / 57 2(

(٣) فرانيتسوزوف: تاريخ حضرموت السياسي. ص٧٧.

(٤) الحمد: الاحوال الاجتماعية. ص٤٠٠ – ٤٠١.

والمصنوعات العطرية من عطور اللادن والسليخة[1]، والجلدية من سروج الخيل وقرب الماء والجلود المدبوغة، وفي المقابل كانت أكسوم تصدّر لها المنتجات الجلدية من البسط الأرضية من جلد النمر المدبوغ والمعطر[2] والعاجية من الأواني المنزلية والكراسي الخفيفة والتماثيل الصغيرة[3] والذهب[4]، فضلًا عن أن بعض المصادر ذكرت ظهور تجارة الأحجار الكريمة والمجوهرات والتي ازدهرت خلال فترة الاحتلال إثر الحظر التجاري الذي فرضه البيزنطيون على أكسوم مطلع القرن السادس الميلادي[5]، والجدير بالذكر أن معظم الصادرات والواردات اليمنية الحميرية من وإلى أكسوم كانت تتم خلال تلك الحقبة عبر ميناء المخا الذي كان حلقة الوصل في التبادل التجاري بين اليمن والحبشة منذ القرن الرابع الميلادي[6] ويقابله في الجانب الآخر ميناء عدوليس[7].

---

(١) دماج: المحاصيل الزراعية. ص١٢٠.

(٢) الهمداني: صفة جزيرة العرب. ص٣٢٣.

(٣) كوبيسكانوف: اكسوم من القرن الاول الى القرن الثاني – تاريخ افريقيا العام، مج٢. ص ٣٩٢.

(Marcus: history of Ethiopia. p10. 4(

(٥) كوبيسكانوف: اكسوم من القرن الاول الى القرن الثاني – تاريخ افريقيا العام، مج٢. ص ٣٩٢.

(٦) عثمان: كتابات في التاريخ الاجتماعي. ص٢٥٠.

(٧) الشيبة: محاضرات في تاريخ الحبشة. ص١٩٧ – ١٩٩.

المبحث الثاني:

الاتفاقيات التجارية المبرمة بين البلدين

لم تذكر المصادر التي بحوزتنا أيضًا أية اتفاقية تجارية عقدت بين اليمن والحبشة إبان القرن السادس الميلادي؛ لاسيما فترة ما قبل الاحتلال رغم أن اليمنيين القدماء قد قطعوا شوطًا في عالم القوانين والتشريع(١) وصل إلى حدّ تدوينها وابتكار العديد من أحكامها(٢) كالضرائب الحمائية(٣)؛ فضلًا عن كثرة النقوش والمصادر الأثرية التي تتحدث عن القوانين والمعاملات التجارية الذي يعد انعكاسًا للحراك الاقتصادي النشط الذي طرأ في حمير خلال القرنين الرابع والخامس الميلاديين(٤)، فعلى الرغم من البحث المستفيض حول ذلك الموضوع عبر المصادر التاريخية لليمن والحبشة لاسيما في المصادر النقشية التي عاصرت أحداث تلك الفترة الزمنية المحصورة في رسالتنا العلمية خطوةً خطوةً، فلم يسفر سوى عن القليل من الاتفاقيات الرسمية المحتملة خلال هذه الحقبة، ولكي نستوضح المزيد من المعلومات عنها فقد ارتأينا أن نذكر كافة الاتفاقيات الرسمية المرتبطة بالطرفين الحميري والأكسومي ومنذ القرن الثالث الميلادي إلى القرن السادس الميلادي (انظر الجدول رقم ٨)، وهي كالتالي:

١. الاتفاقية التي عقدت بين ملك سبأ وذي ريدان علهان نهفان وملك أكسوم جدرت(٥)، ويعود تاريخها إلى القرن الثالث الميلادي، وكانت سياسية أدّت إلى تحالف السبئيين مع الأكسوميين والرومان فيما يشبه المعاهدة الدولية وعسكرية

---

(١) الجرو: دراسات في التاريخ الحضاري. ص٩٣.

27. –(Res 4337(A)/17 2(

(٣) سعيد، نعمان احمد: القوانين العربية القديمة في مملكتي قتبان والحضر (دراسة تاريخية مقارنة). المكتب الجامعي الحديث. الاسكندرية، ٢٠٠٤م. ص٥٣.

–1973. vol 1 -(Doe , Brian: southern Arabia (PSAS). Arabian studies. London press,1970 4(3. p257.

(٥) سمسم: العلاقات بين شبه الجزيرة العربية والحبشة. ص٧٨.

بالدرجة الأساسية حيث اتفق الطرفان حسبما هو مذكور في السطور ١١ – ٢٠ على التعاون بينهما في حالة السلم حيث اتفقوا على بعض المعاهدات الاقتصادية في حال تحرير مناطق السراة الجبلية من سيطرة الأحباش مقابل أن يفتح سبأ أمامهم باب الاستثمارات المشتركة في حقولها الزراعية الخصبة وتصدير الفائض من منتجاتها إلى أكسوم، ومما يبرهن على ذلك وجود نوع من الانفتاح الاقتصادي بين البلدين منذ ذلك التاريخ، حيث تعهّد جدرت لنظيره السبئي أن يساعده في قمع المتمردين عليه في خولان وآنس ومحاربة الدولة الحميرية الداعمة لهم بالسلاح والمال وملكهم شمر يهحمد آنذاك(١).

٢. الاتفاقية التي عقدت بين ملك سبأ وذي ريدان شاعرم أوتر ونظيره الحميري شمر يهحمد ضد قائد الجيش الحبشي في اليمن ونجل ملك أكسوم جدرت الملك بيجت، وتعود إلى القرن الثالث الميلادي بعدما نقض شمر يهحمد الاتفاقية التي عقدها مع الأكسوميين والتي أعطتهم المزيد من الامتيازات الاقتصادية المجحفة في أراضي حمير وتجارتها كما تذكر السطور ١٥ – ٢١ من النقش، ويوجد شقّ اقتصادي في الاتفاقية المذكورة أعلاه تنصّ على ما يبدو على تبادل المنتجات الزراعية بينهما(٢).

٣. الاتفاقية التي عقدت بين ملك سبأ وذي ريدان ال شرح يحضب ونجل ملك أكسوم جرمت وقائد جيشه في اليمن، ويعود تاريخها إلى القرن الثالث الميلادي وكانت عسكرية فقط أدّت إلى التنسيق الكامل بين الجيشين السبئي والأكسومي ضد نظيرهما الحميري بقيادة الملك شمر يهحمد كما تذكر السطور ١ – ٧ من

20. –(CIH 305/11 1(

(٢) عنان ٤٩، السطور ١٥ – ٢١.

النقش، والتي كانت ردًا على خرق الثاني للاتفاقية المبرمة بينه والأحباش التي عقدت بينهما منذ ثلاثة أشهر كما تذكر السطور ٨ – ١٢ حيث خاض الطرفان ٢٥ معركة طاحنة بينهما أسفرت في الأخير عن انتصار ال شرح يحضب وحلفائه الأكسوميين ضد الحميريين محملين بالعديد من الغنائم والأسرى كما تذكر السطور١٢ – ٢٥[١].

٤. الاتفاقية الموقعة بين ملك حمير شمر يهحمد ونجل ملك أكسوم وقائد جيشه في اليمن جرمت ضد ال شرح يحضب ملك سبأ وذي ريدان بعدما انقلب الأول على الأخير خلال القرن السالف الذكر، وهي عسكرية بالطبع، وحسبما هو مذكور في النقش بين السطور ١١ – ١٥ فإن ال شرح يحضب واجه بجيشه الكبير تحالفًا ضخمًا مكونًا من جيوش حمير وأكسوم والأقيال السبئيين المتمردين في معارك طاحنة دارت رحاها ما بين قرى صنعاء وذمار انتهت بانتصاره الساحق عليهم في السطور ١٥ – ١٩.[٢]

٥. الاتفاقية الموقعة بين ال شرح يحضب ملك سبأ والملك الحميري شمر يهحمد ضد الأحباش وجيشهم في اليمن، وتاريخها عائد للقرن الثالث الميلادي أيضا في شهر ابهي، وتتحدث عن نقض شمر يهحمد لاتفاقه السابق مع ملك أكسوم آنذاك جدرت وتحالفه مع خصمه السابق ال شرح يحضب ضدّه سياسيًا وعسكريًا أسفرت كما هو مذكور في السطور ١٠ – ١٤ على انتصارهما الساحق عليه في عك شمال خولان وتحريرها من الاحتلال الحبشي[٣].

---

(١) عنان ٤، السطور ١ – ٢٥

(٢) عنان ٦١، السطور ١١ – ١٩.

14. –(Ir 44/10 3(

٦. تجديد الاتفاقية السابقة بين الملكين المذكورين ضدّ القوات الحبشية ومن يتعاون معها من المنشقين على أحد منهما حيث يذكر النقش الذي سجله سعد تالب والعائد بتاريخه إلى القرن الثالث الميلادي في السطور ١ – ١٤ عن مساعدة سعد تالب يهشع أحد قادة الملك ال شرح يحضب العسكرية للملك شمر يهرعش ضدّ بعض الحميريين المتمردين عليه، والذين تحالفوا مع الأحباش المرابطين في مدينة يريم، لكن جهود الأول تكللت بالنجاح، وأسفرت عن تحريرها من قبضتهم وأسر المتمردين وعدد كبير من جنود جيشهم آنذاك[1].

٧. اتفاقية جلاء الأحباش من اليمن، والتي من المرجح أن تعود إلى القرن الثالث الميلادي كما هو مذكور في السطور ١ – ٨ من النقش، حيث يبين جلاء آخر جندي أكسومي من المخاليف السبئية التي أضحت تابعة للدولة الحميرية في عهد الملك شمر يهحمد، وبهذه الحالة يمكن على إثرها نشوء نوع من العلاقات الدبلوماسية الإيجابية، وتؤدي بدورها إلى قيام حركة تبادل تجاري واسعة النطاق بين البلدين[2].

٨. الاتفاقية التي عقدت بين ملك حمير كرب أيل وتر يهنعم وأكسوم، والتي يرجح أن تاريخها يعود إلى القرن الرابع الميلادي، ومن المرجح أيضا أنها تجارية نوعًا ما حيث يذكر شرح عثتر أشوع في السطور ٤ – ٩ من النقش أنه أرسل إلى ملك أكسوم دون أن يذكر اسمه على رأس بعثة دبلوماسية من قبل كرب أيل وتر يهنعم ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت لبحث اتفاقية السلام بين البلدين دون أن يذكر شيئًا عن بنودها، إلا أنه يؤكد أنّ مهمته كانت تجارية

14. –(CIH 353/1 1(

8. –(Ir 67/1 2(

بالأساس؛ سيما بعد عودته إلى السواحل اليمنية المقابلة للحبشة وتفقد أوضاع موانئها الرئيسية آنذاك، مما يبرهن لنا أن الطرفين على ما يبدو اتفقوا في هذه الاتفاقية المذكورة أعلاه على حرّية التجارة والتبادل التجاري بين البلدين حينها[١].

٩. الاتفاقية الدبلوماسية المنعقدة بين الملك الحميري مرثد الن ينوف وملك أكسوم كالب أو ايلا أصبحا، والتي يعود تاريخها إلى مطلع القرن السادس الميلادي وبالتحديد عام ٥٠٤م كما هو مذكور في السطور ٢ – ٥ من النقش عن افتتاح مقرّ لسفارة أكسوم في العاصمة الحميرية ظفار ومنزل لأعضاء بعثتها الدبلوماسية[٢]؛ مما يعطينا مؤشرًا على وجود علاقات قوية بين البلدين آنذاك وصلت إلى حد التحالف العسكري ودعم الأكسوميين للملك المذكور أعلاه ضد عدوه اللدود نظيره شرحبيل ينكف الذي كان يحاربه من أجل استعادة عرشه منه كما هو مذكور في السطور٢–٦ من نقش كوربوس 597[٣] وجعل أبواب البلاد مشرعة أمام الرعايا الأكسوميين من تجار وقساوسة وعسكريين والمنتجات الزراعية والصناعية الأكسومية[٤].

١٠. الاتفاقية التي عقدت بين الملك الحميري معد كرب يعفر وملك الحبشة كالب أو آيلا أصبحا، والتي يرجع تاريخها إلى القرن السادس الميلادي، وهي عبارة عن اتفاقية تحالف شامل بين البلدين لمساعدة حمير ضد الغزو الفارسي لسواحلها

---

9. –(Ir 28/1 1(

=5. –(Ga 12/2 2(Ga 3948

7. –(CIH 547/2 3(

(٤) السقاف: ملوك سبا وذي ريدان. ص٣٣.

الشرقية، ودعمها عسكريًا لمواجهتهم كما تذكر المصادر السريانية وتضيف على ما سبق أنهما اتفقا على التعاون الاقتصادي وحرية التبادل التجاري دون عوائق جمركية أو ضريبية شملت حرية البيع والشراء وامتلاك العقارات والأراضي في كلا البلدين، كما تتعهد -حسبما تذكر نفس المصادر- السلطات الحميرية بحرية العبادة لأتباع الديانة المسيحية من اليمنيين والأحباش على حدٍّ سواء، وإنشاء كنائسهم في المدن الرئيسية[1].

١١. الاتفاقية التي عقدت بين الملك الحميري سميفع أشوع ومن معه من الأقيال اليزنيين والكلاعيين والجدنيين مع ملك أكسوم كالب أو ايلا أصبحا في اليمن، ويعود تاريخها إلى مطلع القرن السادس الميلادي وتحديدًا بعد الاحتلال الحبشي مباشرةً[2]، وكما هو مذكور في السطور ٢ – ٥ من نقش CIH 547 أنها على ما يبدو ميثاق أو حلف دائم حمل الصبغة الرسمية نوعًا ما بين الطرفين تعهّد بها سميفع أشوع بالولاء التام للملك كالب وحكم البلاد تحت حماية الدولة الأكسومية ووصايتها الفعلية على السياستين الداخلية والخارجية لها، مما يكشف لنا أن اليمن أضحت بمفاهيم العصور الحديثة محميةً حبشيةً وليست مستعمرةً تُدار من قبل المستعمرين، وعلى هذا الأساس أضحت تحكم من قبل أبنائها الموالين للمستعمر، وعلى الرغم من أنها اتفاقية ذات صبغة سياسية وعسكرية إلا أنها رسمية؛ أي أن موادها شاملة وتسري على كافة المجالات الحيوية بما فيها الاقتصادية والتجارية، وتعيد رسمها وتخطيطها بما يتلاءم مع محتوياتها المتعلقة

(١) بيوتروفسكي: ملحمة اسعد الكامل. ص٢٤٠.

(٢) السقاف: ملوك سبا وذي ريدان. ص٨٦.

بالأهداف التي قامت من أجلها والتي لو دققنا عليها قليلًا سنجد أن الاقتصاد اليمني القديم آنذاك كان مجندًا لخدمة أكسوم فحسب(١).

١٢. الاتفاقية التي عقدها ملك اليمن الحبشي أبرهة مع المنشقين عن ثورة يزيد بن كبشة، والتي يعود تاريخها إلى عام ٦٥٧ ح = ٥٤٢م(٢)، وسجّلت في نقشه الشهير المؤرخ في عام ٦٥٨ ح = ٥٤٣م، وهي تصديق للاتفاقية المنعقدة بين أيلا أصبحه وسميفع أشوع، إلا أنها على ما يبدو أقل إنصافًا لليمنيين، وهي ذات شقّين؛ أحدهما سياسي يتعلق بإعلان الأقيال المنشقين ومعظمهم من الأعراب أن يقسموا يمين الولاء والطاعة لأبرهة وتنفيذًا لأوامره وقوانينه الصادرة منه كما هو مذكور في السطور ٤٦ – ٥١، والآخر اقتصادي يتعلّق بتعهدهم الملزم بدفعهم للضرائب لحكومته ومشاركتهم في إصلاح سدّ مأرب بالمال والعاملين لإعادة بنائه مجددًا بشكلٍ دوريّ(٣)، كما يظهر لنا النقش المذكور أعلاه أن القساوسة والتجار الأحباش كانوا ينتشرون في أرجاء الدولة الحميرية، ويمارسون عملهم بمنتهى الحرية، وينشئون أحياءهم وأسواقهم الخاصة داخل كبرى المدن اليمنية التي شهدت نشاطًا تجاريًا ملحوظًا في الفترة الأخيرة كنجران والمخا(٤)، إضافةً إلى تبادل البضائع والسلع التجارية بينهما(٥)، وما يبرهن على ذلك

9.. –(CIH 547/2 1(

(٢) نقش ابرهة الكبير، السطور ٤٦ – ٤٨.

10. –(Ja 547/1 3(

(٤) نقش ابرهة الكبير، السطور٤٨ – ١٣٥.

(٥) الفرح: الجديد في تاريخ وحضارة سبا وحمير، مج٢. ص٢٠٤٨.

اكتشاف عملات حميرية وحبشية وبيزنطية مؤرخة بأواخر القرن الخامس الميلادي[1].

١٣. الاتفاقية التي تعود إلى القرن السادس الميلادي، عُقدت بين أبرهة دون ذكر اسمه وأقيال عك[2] ومسودهم الذي صادق عليها بالإجماع على ما يبدو للتأكيد على فرض المسيحية ومنح حرية بناء الكنائس وتنقل الأكسوميين في أراضيهم دون تحديد مقابل امتيازات مالية وزراعية وتخفيضات ضريبية على الأرجح كما تذكر السطور ١٣ – ١٩ في النقش الذي سجل نصوص الاتفاقية والمؤرخ بعام ٦٦٩ح = ٥٥٤م سواء كانوا قساوسة أم تجار أم مسئولين حكوميين، ويظهر ذلك مشاركة حكومته في بناء الكنائس الرسمية في المخلاف المذكور سلفًا معتمدًا على كفاءات هندسية معظمها من وطنه الأم الحبشة[3].

وبعد أن استعرضنا الاتفاقيات الرسمية التي عقدت بين الحميريين اليمنيين والأكسوميين الأحباش قدر ما استطعنا من بذل الجهود الحثيثة من خلال النقوش المتوافرة لدينا في هذه النقطة، فإنّ الاتفاقيات التجارية أو التي تحمل في طياتها شقًّا تجاريًّا أو اقتصاديًّا كانت موجودة على الرغم من ندرتها الشديدة في المكتبات والمتاحف العامة.

---

(١) كوبيسكانوف: اكسوم من القرن الاول الى القرن الثاني – تاريخ افريقيا العام، مج٢. ص ٣٩٤ - ٣٩٦.

(٢) عك هي احدى القبائل القاطنة في مخلاف خولان، اقرا كتاب (الاعلام) لخير الدين الزركلي، ج٤. ص١٦٦.

21. –(CIH 235/1 3(

الفصل الثالث:

العوامل المؤثرة على العلاقات الاقتصادية بين اليمن والحبشة

المبحث الأول:

العوامل الداخلية

نعلم جيدًا أنّ كامل التراب اليمني قد أضحى تحت قبضة الاحتلال الحبشي عام ٥٢٥م بصعوبة بالغة على إثر مقاومة شرسة ومستميتة قادها الملوك الحميريين مطلع القرن السادس الميلادي بالرغم من الصراعات الدائرة بينهم، إما حول العرش كما حدث بين الملكين شرحبيل ينكف أو يكف (٤٩٩ – ٥٠٠ م) وخصمه مرثد الن ينوف (٥٠٠ – ٥٠٤ م)(١) وأيضًا مع الملك معد كرب ينعم أو حسان بن عمرو في المراجع الإسلامية (٥٠٤ – ٥٠٦ م) ضد خلفه وشقيقه لحيعت يرخم ذو هصبح المعروف في المصادر الإسلامية بذو شناتر (٥٠٦ – ٥١٠ م)(٢) الذي بدوره خاض صراعًا مع خلفه معد كرب يعفر (٥١٠ – ٥١٦ م)(٣)، وإما حول مواطن النفوذ في مؤسسات الدولة الرسمية العسكرية والمدنية على حدٍّ سواء من قبل الأقيال والأذواء المحليين المتنفذين والرافضين سيطرة نظرائهم من القبيلة اليزنية لمفاصلها بإحكامٍ شديدٍ وحصر الملك في سلالتهم، إضافةً إلى امتلاكهم أفضل الإقطاعيات الزراعية واستئثارهم بنصيب الأسد من موارد البلاد الاقتصادية، ولاسيما عائداتها المالية من التجارة البرية والبحرية والضرائب السيادية التي كانوا معفيين منها منذ النصف الثاني من القرن الخامس الميلادي؛ مما دفع العديد من

---

(1) CIH597/5 – 9. = bomby 64

(٢) شناتر تعني باللغة اليمنية القديمة الاصابع او الانسان السيئ الاخلاق، وقد اطلق على الملك لحيعت يرخم لقب ذو شناتر لأنه حسبما يشاع اغتصب العديد من اطفال سلالة أبكرب اسعد الملكية وقتلهم بعد القبض عليهم خلال توليه السلطة، اقرا كتاب (الاعلام) لخير الدين الزركلي، ج٣. ص ٧٧.

(٣) السقاف: ملوك سبا وذي ريدان. ص٥٤.

هؤلاء إلى التحالف مع القوى الخارجية التي تتربص بوطنهم ليل نهار، ولاسيما عدوّهم وحليفهم اللدود في آنٍ معًا أكسوم حسب ما تقتضيه المصلحة والزمان والمكان المناسبين لذلك، وإن لم يعتنق معظمهم ديانتها المسيحية ومذهبها المينوفيزي كما فعل الملك لحيعت يرخم ذو هصبح من المعافر الذي كان مواليًا للملك مرثد الن ينوف قبل أن يثور عليه(١)، فضلًا عن الأزمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية الخانقة التي أسهبنا في ذكرها بالتفصيل خلال المبحث الأول (الأوضاع السياسية) من الفصل الأول من الرسالة، ولازالت تؤثر سلبًا في البلاد وتغرقها بالتدريج في دوامة المشاكل والقلاقل الداخلية، وتحدث خلخلة جذرية في بنيان الدولة وهيكلها السياسي والعسكري على حدٍّ سواء؛ مما يجعلها عرضة لمخاطر التدخل الخارجي، فيدقّ أبوابها بمنتهى الجرأة والعنف أكثر من ذي قبل، سيّما عندما تكون استجابةً لحكامها اللاهثين لكسب ودّ القوى الدولية والإقليمية لأغراضٍ في نفس يعقوب كما حدث مع الملكين مرثد الن ينوف(٢) ومعد كرب يعفر(٣) اللذَين أقاما علاقات وطيدة مع الحبشة أثمرت عن تحالفات رسمية تدعمهم في مواجهة تهديدات الفرس الساسانيين وحلفائهم من المناذرة(٤) لسواحل دولتهم الواقعة أقصى الشرق ما بين البحر العربي وخليج عمان(٥)، ومع ذلك فلم يسمحا لها بالتواجد العسكري على الأراضي الحميرية وإن كانا قد منحا رعاياها المدنيين حرّية التنقل والبيع والشراء وبناء منازلهم وكنائسهم الخاصة داخل المدن الرئيسية دون أن يعلما أنهما بهذه الطريقة يفتحان الأبواب المؤصدة نسبيًا أمامهم؛ سيما وأنهما أضحيا يقترضان العديد من الأموال بفوائد

---

(1) Fa 74/5 – 12. = Sh 36

(2) CIH597/5 – 9.

(٣) بيوتروفسكي: ملحمة اسعد الكامل. ص٢٤٢.

(4) Ry 510/3 – 9.

(5) B 48/6 – 11.

عالية من أكسوم دون أسبابٍ واضحة[1]، فضلًا عن أن كثير من الأحباش الوافدين عليها كانوا من المحتمل مسئولين سابقين في الدولة الأكسومية واستطاعوا خلال إقامتهم الدائمة تشكيل ما يشبه اللوبيات أو جماعات ضغط محلية من أعيان البلد وقادة الجيش موالية لهم، وشراء العديد من الأراضي الزراعية والأملاك العقارية والمنشآت التجارية منهم مقابل الانتفاع من أرباحها[2]، **وهذا التساهل اللامبرر أثار استياء الملك يوسف أسار يثار المعروف في المراجع الإسلامية يوسف ذو نواس أو مسروق في المصادر السريانية، ودفعه إلى خوض الحرب ضدّهم والقضاء على نفوذهم الاستعماري المستشري فيها ولاسيما بعد وصوله على ما يبدو إلى سدة الحكم عام ٥١٦ م وإن كان بشكلٍ غير رسميّ حيث كان يتلقب في نقوشه المسندية التي سطرت في عهده بملك كلّ الشعوب[3] وليس بملكِ سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت والطود والتهائم؛ مما يقودنا إلى الاحتمالات التالية:

١. أنه اغتصب العرش من سلفه الذي من المحتمل أن يكون معد كرب يعفر؛ حيث كان آخر ملك يذكر بلقب ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانه وأعرابهم في الطود والتهائم قبيل مجيئه كما تنوه له معظم المصادر النقشية والأكسومية على حدٍّ سواء، وبطريقةٍ غير شرعية أثارت غضب شركاء معد كرب يعفر في الحكم من الأذواء اليزنيين وعلى رأسهم سميفع أشوع معلنين عدم مبايعته والخضوع له على الرغم من أنهم قاتلوا معه في حصن الغراب[4].

---

(١) بيوتروفسكي: ملحمة اسعد الكامل. ص٢٤٠.

(٢) بافقية: تاريخ اليمن القديم. ص١٥٧.

(٣) هي جمع شعب وتعني باللغة اليمنية القديمة بالقبيلة المستقرة او الجماعة المستقرة او سكان الاقليم الاداري في اليمن القديم المعروف بالمخلاف، اقرا كتاب (دراسات في تاريخ اليمن القديم)، د/ عبدالله حسن الشيبة. ص٦٢.

(4) **Ry 508/1 – 2.**

٢. أنه لقّب بملك كل الشعوب لأنه لم يستطع إخضاع كامل التراب اليمني في عهد الدولة الحميرية لسلطتها المركزية، وكان يخضع لسيطرة الأقيال المتنفذين فيها ويمتثل لأوامرهم دون اعتراضٍ منه، مع العلم أنّ أسلافه الذين حملوا اللقب الملكي الطويل لم يعودوا يحكمون سوى العاصمة ظفار وما حولها وبعض الأقاليم الساحلية القريبة منها فقط كما أسلفنا من قبل(١).

٣. أنّ هذا اللقب كان لقبًا عسكريًا بحتًا وليس له علاقة بمن يتولى حكم البلاد؛ سيّما أنه كان يطلق على القائد الأعلى لجيوش الأقيال المحاربة تحت إمرة الملك وجيشه النظامي كما حدث مع الملك مرثد ألن ينوف خلال حملته إلى عمان المدون في نقش B 48 دون أن يرد لفظه ما بين سطوره(٢).

المهم أن يوسف أسار يثار قرر أن يشنّ حربًا شعواء ضد الأكسوميين لاقتلاعهم من بلاده ومن شايعهم من مراكز القوى الاجتماعية والمتنفذة الموالية لهم دون رحمةٍ وصلت إلى حدّ إحراق كنائسهم وأحيائهم التجارية منذ أن وطأت قواتهم بأقدامها السواحل الشرقية عام ٥١٨م(٣) تارةً بسبب عدائه للمسيحية كما تذكر المصادر السريانية والإسلامية، والتي انتشرت في اليمن سريعًا مما يشكل خطرًا على الهوية الدينية الغالبة في البلاد ألا وهي اليهودية التي كان يعتنقها، ودفعه إلى قتل المزيد من أتباعها المحليين عندما ارتكب المجازر البشعة بحقهم(٤) ومن بينها مجزرة نجران حينما حفر أخدودًا لسكانها المسيحيين وقذف بهم

(١) فرانيتسوزوف: تاريخ حضرموت الاجتماعي. ص٤٦.

(2) B 48/6 – 11.

(3) Ry 508 /1 – 4.

(٤) شيبمان: تاريخ الممالك القديمة. ص١٦٠.

في لجّته المشتعلة ليتلظوا بنارها الحارقة لهم[1] رغم عدم وجود ذكر لها في النقوش المسندية[2] والتي ذكرت أيضًا على ما يبدو أنه لم يعتنق أيّ دينٍ معينٍ كما يذكر نقش **Ja 1028** في السطور الأخيرة منه عندما طلب التأييد من الله بأدعية دينية مأخوذة من الديانات السائدة في بلده كالتوحيد الحميري والمسيحية واليهودية[3]، وتارةً أخرى بسبب صراعه المستمر مع شركائه في الحكم الذين انقلب عليهم وعمل على مطاردتهم وتصفيتهم سياسيًا واقتصاديًا كما تذكر المصادر الأكسومية[4] على الرغم من وقوفهم مع القوّة الجديدة خلال المقاومة المسلحة لقوات الاحتلال آنذاك[5].

في البدء انتصر عليهم، واستطاع أن يحرر معظم أرجاء البلاد ويستعيد معظم منشآتها الصناعية والزراعية من قبضتهم بعد أخذٍ وردٍّ من كلا الطرفين، وبفضل خططه الحربية المبتكرة لمواجهتهم جعلتها مستقلة مدّة سبع سنوات فقط؛ لم تكن كافيةً لحماية استقلالها الهش حيث سرعان ما استأنف غريمه الملك كالب -كما هو مذكور في المصادر الأكسومية أو أيلا أصبحه- حملاته العسكرية ضدّهم، لكن هذه المرّة بإمكانيات أكبر من ذي قبل، ولاسيما بعد ما قرر الإمبراطور البيزنطي جستنيان الأول (٥١٨ – ٥٢٧ م) بموجب الاتفاقية العسكرية المنعقدة بينهما التي أثمرت عن إمداد البيزنطيين لأكسوم بمزيدٍ من السفن الحربية المجهزة بأفضل العتاد إلى جانب نظيرتها الأكسومية، وبلغت حوالي ٢٣٠ سفينة على متنها ثلاثمائة جندي بقيادة ابنه جبري أو رمحس في النقوش المسندية[6] ومئة خبير

(١) سورة البروج، الآيات ١ – ٩.

(2) CIH 508/4 – 6.

(3) Ja 1028/7 – 8.

(٤) الشيبة: محاضرات في تاريخ الحبشة القديم. ص١٨٠.

(5) Ja 1028/1 – 5.

(٦) الشيبة: محاضرات في تاريخ الحبشة القديم. ص١٨٢.

عسكري بيزنطي وبعض الأقيال الموالين لأكسوم[1] نحو السواحل الغربية في مطلع عام ٥٢٢م[2] على وجه السرعة مما أربك يوسف أسار يثار حسب رأي معظم المؤرخين في استعداداته الميدانية لمواجهتهم؛ سيما بعد أن اخترقوا التحصينات المذكورة سلفًا في المخا وباب المندب بفضل تواطؤ بعض قادة وحداته العسكرية المرابطين وأقيال المنطقة لصالحهم، فضلًا عن إمكانيات جيشه المتواضعة التي لم تجارِ ما لدى أعدائه من تفوّقٍ كمّي ونوعي في العتاد الحربي، إلى جانب قتاله الشرس لهم في تلك الفترة دون قوّة دولية تسانده ضدّهم لتسفر في الأخير عن مصرعه في معركة حصن ماوية بالقرب من ميناء قنا دون أن تمنع هزيمة جيشه القاسية أمام نظيره الأكسومي منتصف ٥٢٥م[3].

ولدعم مصالحها الحيوية ونفوذها الاقتصادي والسياسي والديني هناك؛ لم يغيّر الأحباش الأكسوميين شيئًا من تركيبة الطبقة السياسية والاجتماعية بمن فيهم الأقيال والقادة العسكريين بما يضمن تحقيق مصالحهم الخاصة فيها، وإن كانوا قد أخضعوهم لسلطتهم المركزية في بادئ الأمر؛ إلا أنهم استثنوا الأقيال الموالين لهم[4] والذين تمتعوا بحكمهم الذاتي لمخاليفهم كما في السابق بمن فيهم سميفع أشوع[5] الذي نصب كأول ملكٍ

(١) مكاوي: العلاقات بين حمير واكسوم. ص٥.

(٢) السقاف: ملوك سبا وذي ريدان. ص٧٦.

(٣) السقاف: ملوك سبا وذي ريدان. ص ٧٦ - ٧٨.

(٤) فرانيتسوزوف: تاريخ حضرموت الاجتماعي. ص٤٦.

(٥) اختلف العديد من المؤرخين والباحثين العرب والاجانب واليمنيين باختلاف مصادرهم على حد سواء حول شخصية الملك سميفع اشوع وديانته، فبعضهم يرونه ملكا وطنيا تولى زمام المقاومة ضد الغزو الحبشي الثاني اثر استشهاد سلفه يوسف اسار يثار عام ٥٢٥م، والبعض الاخر يرونه خان ملكه حينما كان واحدا من قادة جيشه وصار العوبة بأيديهم حتى مصرعه عام ٥٣٣م، واخرون يعتبرونه مجرد اول عامل او وال على اليمن معين من قبل الغزاة الاحباش بعدما كان يعيش في بلدهم منفيا هناك فارا من وطنه لمعارضته يوسف اسار بسبب ديانته المسيحية...... الخ، ولكن من المؤكد

على اليمن في عهدهم وبأمرٍ منهم وإن كان قد حاول خلال توليه للسلطة أن يخضع حكام المخاليف والمقولات والاذوائيات للنظام المركزي وبالتالي الحفاظ على ما تبقّى من للدولة الحميرية التي لم يزل محافظًا على ولائه الشديد لها منذ أن كان قائدًا من قادة جيشها النظامي قبيل تمرّده على آخر ملوكها، حيث استعاد إبان حكمه أملاك حمير في شمال شبه الجزيرة العربية ولاسيما منطقتي اليمامة ونجد(١) معتقدًا أنّ جميع أنصاره من الأقيال الذين وقفوا في وجه يوسف أسار يثار ولاسيما المعتنقين لنفس ديانته سيوافقونه الرأي دون أن يدرك خطأه في ذلك الأمر، وأنه من المستحيل على أناسٍ عاشوا يحكمون ممتلكاتهم باستقلاليةٍ تامةٍ عن المركز لردحٍ من الزمن أن يخضعوا لحاكمها بسهولةٍ، وقد كان واحدًا منهم(٢)، إضافةً إلى المصالح التجارية الوثيقة التي تربطهم بالغزاة الجدد منذُ مدّة طويلة(٣) حيث سرعان ما تحالفوا مع قائد الجيش الحبشي آنذاك أبرهة ليطيحوا بصديقهم ومواطنهم من العرش عام ٥٣٣ م لصالح الغريب(٤) ليكتشفوا خطأ تصرفهم هذا، ولكن بعد فوات الأوان عندما

بمعظم النقوش المسندية كنقش CIH621 السطور ١ – ٩، والادبيات البيزنطية تقول انه كان قائدا لجيش الملك يوسف اسار ذو نواس خلال معركة حصن الغراب التي ادت الى هزيمة الجيش الحميري امام نظيره الحبشي ومقتل ملكهم او انتحاره فيها عام ٥٢٥م وليقود المقاومة ضد المحتل ويأخذ بثأر سيده رغم اعتناقه المسيحية الا ان اجبر على يكون ملكا تحت وصايتهم بموجب اتفاق حدث بينهم بعد اربعة اشهر من القتال العنيف داخل مدينة قنا ونواحيها حيث كان متحصنا فيها وان كان حاول جاهدا الاستقلال بحكمه عنهم واقام علاقات مباشرة مع الدولتين البيزنطية حليفة الحبشة آنذاك والفارسية رغم معارضة الغزاة لذلك، اقرا كتاب (ملوك سبا وذي ريدان) لحمود السقاف. ص٧٦ – ٧٧.

(١) سمسم: العلاقات بين شبه الجزيرة العربية والحبشة. ص٢٠٥ – ٢٠٦.

(٢) العودي: المدخل الاجتماعي لدراسة التاريخ والتراث العربي. ص٥٠.

(٣) ميكوريا: اكسوم المسيحية، مج٢. ص٤٢٠.

(٤) منقوش: سيف بن ذي يزن بين الحقيقة والاسطورة. دار ازال. بيروت، ١٩٨٠م. ص٢٨.

أدركوا المأزق الذي وقعوا فيه، فلم ينفك أبرهة يفرض السلطة المركزية قسرًا على أرجاء اليمن مستخدمًا أسلحة جديدة لم يعهدها اليمنيون من قبل؛ كالفيلة والمنجنيق، وكفلت له القضاء على ثوراتهم الصغيرة في مهدها ومستغلًا دعم الإمبراطورية البيزنطية المباشر له والأوضاع المضطربة في وطنه الحبشة التي ساعدته في الاستقلال بحكمه لهذه البلاد[1] دون أن يقطع صلته البتة بالوطن الأم شريطة ألا تتعدى مجرد التأييد اللوجيستي والعسكري فحسب.

وهذا الوضع الجديد أثّر سلبًا أكثر منه إيجابًا على الوضع الاقتصادي اليمني حينذاك، ولاسيما فيما يتعلق بمسار التبادل التجاري مع نظرائهم الأحباش، فبعدما كانت البضائع اليمنية تغرق الأسواق الأكسومية محققة فائضًا تجاريًا كما في السابق حتى بعد الغزو بست سنوات أضحت تنحسر أمام نظيرتها الحبشية والبيزنطية، وتعاني من العجز المستمر كما أسلفنا من قبل بسبب إلغاء أبرهة الإجراءات الحمائية التي اعتمدها سلفه سميفع أشوع للحفاظ على الصناعية المحلية أمام تدفق البضائع المستوردة[2]، واستفادته من خبرة اليمنيين في تطوير الصناعات الحبشية داخل وطنهم أو في الحبشة على حدٍّ سواء[3]، إضافةً إلى انشغال معظم اليمنيين ولاسيما كبار القوم بالتجارة على حساب الصناعة والزراعة.

لكن هذا لا يعني أنه عادى الشعب اليمني عِداءً مستحكما ومعاملة أبنائه سادتهم وعبيدهم وأغنيائهم وفقرائهم على حدٍّ سواء معاملة المحتلّ الغاصب المعتدي ضدّهم

---

(١) مكاوي: العلاقات بين حمير واكسوم. ص١١.

(٢) العنسي: دراسة اثرية للقبر الملكي. ص٤٧.

(٣) ميكوريا: اكسوم المسيحية، مج٢. ص٤١٩ – ٤٢٠.

حرصًا منه على كسب تأييدهم ودعمهم المادي والمعنوي ضدّ النخبة الحاكمة في بلده(١) سيّما بعد اتخاذه اللقب الملكي الطويل الخاص بملوك حمير لنفسه(٢)، فضلًا عن سعيه الحثيث لتطوير جيشه النظامي القوي الخاص المكون من مائة ألف جندي عبر استفادته من خبرة اليمنين في الصناعات العسكرية، إضافةً إلى دأبه الكامل لبناء العديد من الكنائس والأديرة في البلاد ولاسيما أشهر أعماله في ذلك المضمار تجديد القليس في صنعاء(٣) والذي يرجح أن تشييده تمّ في القرن الرابع الميلادي للرعايا البيزنطيين المقيمين في اليمن آنذاك(٤)، مستغلًا إمكانيات أهلها البارعة في الصناعات الإنشائية والعمرانية على الرغم من أنه سمح بحرية الاعتقاد الديني لغير المسيحيين(٥) لاسيما الموالين له(٦) ولم يلغ حرية الأديان المعمول بها سابقًا قبيل الغزو(٧) حيث آثر أبرهة ألا يرتكب نفس الخطأ الذي ارتكبه سلفه وهو استعدائهم وخصوصياتهم الثقافية وتهديد مصالحهم التجارية في مناطق نفوذهم الحيوية في البلاد وخارجها ولاسيما أن الطابع المسيحي في حكمه كان يشمل المراسيم والقرارات الرسمية

---

(١) جايدة، ايفونا: التوحيد في جنوب الجزيرة العربية من القرن الرابع الى السادس الميلادي. مجلة حوليات يمانية، العدد السادس. المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية. صنعاء، ٢٠٠١م. ص ٧٧ - ٧٨.

(٢) نقش ابرهة الكبير، السطور ١ – ٣.

(٣) ميكوريا: اكسوم المسيحية، مج٢. ص٤١٩ – ٤٢٢.

(٤)الفرح: تاريخ صنعاء الحضاري القديم. وزارة الثقافة والسياحة. صنعاء، ٢٠٠٤م. ص١٢٣.

(٥) الانصاري، عبدالرحمن واخرون: دراسات تاريخ الجزيرة العربية، ج١. مطبوعات جامعة الرياض، ١٩٧٧م. ص١١٣

(٦) هناك كتابات تاريخية معاصرة تؤكد ان كثيرا من اليمنيين ولاسيما كبرائهم كانوا لا يزالوا يمارسون دياناتهم اليهودية والتوحيدية الحميرية بمنتهى الحرية خلال فترة الاحتلال الحبشي الثاني لليمن (٥٢٥ – ٥٧٢)، انظر تاريخ حضرموت الاجتماعي والسياسي قبل الاسلام وبعده لسيرجي فرانيتسوزوف. ص٨٣ – ٨٥.

(٧) نقش ابرهة الكبير، السطر٢٥ – ٣٠.

فحسب[1] إلا أنه أثار غضبهم بإنشائه كنيسة ضخمة تعرف بالقليس على أنقاض قصر ملكيّ كبير أنشأه أحد الملوك الحميريين، فضلًا عن سماحه بعودة العديد من أعيان كندة إلى وطنهم الأصلي حضرموت قادمين من عاصمتهم السابقة في نجد عام ٥٤٤م[2] وهذا ما يفسر سبب اندلاع ثورة نائبه يزيد بن كبشة عام ٥٤٥م التي كادت أن تطيح بحكمه لولا الخلافات التي طرأت فيها بين الأقيال السبئيين واليزنيين[3]، فضلا أن اهتمامه بالصناعات العسكرية والبنائية أتى على حساب نظيراتها النسيجية والمعدنية الأخرى[4]، كما لا ننسى سعيه الدائم للسيطرة على المدن الواقعة على طول طريق البخور التجاري كنجران ومكة والمدينة وصولًا إلى ولاية فلسطين الرومانية (انظر خريطة رقم ٥) عبر حملاته العسكرية المتواصلة نحوها بحجة قمع القبائل البدوية الثائرة عليه الساكنة بمحاذاته[5]؛ للأسباب التالية:

١. الإيرادات المالية التي حققتها المدن المذكورة أعلاه عبر نشاط الوساطة التجارية مع بيزنطة وفارس وأكسوم.

٢. كسب ود الإمبراطورية البيزنطية ودعمها السياسي والعسكري عبر إخضاع طريق البخور التجاري لسيطرتهم.

---

(١) جايدة، ايفونا: التوحيد في جنوب الجزيرة العربية من القرن الرابع الى السادس الميلادي. مجلة حوليات يمانية، العدد السادس. المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية. صنعاء، ٢٠٠١م. ص ٧٧ - ٧٨.

(٢) شيبمان: تاريخ الممالك القديمة. ص٨٧.

(3) CIH 541/25 – 30.

(٤) ميكوريا: اكسوم المسيحية، مج٢. ص٤٢٢.

(5) Ry 506/1 – 8.

بعد وفاته وحلول ابنه يكسوم محلّه عام ٥٧٠م فأخيه مسروق عام ٥٧١م[١] بدأ اليمنيون القدماء بتحرير وطنهم من حكم الأحباش عام ٥٧٣م بقيادة معد كرب بن سميفع أشوع[٢] أو سيف بن ذي يزن في المصادر الإسلامية[٣] بمساعدة هزيلة[٤] من الفرس الساسانيين[٥] مستجيرًا من الرمضاء بالنار وليستبدل محتلًّا بمحتلٍّ آخر، ويتولى على إثر ذلك حكم بلاده حيث حاول خلال تلك الفترة إكمال ما بدأه والده سميفع أشوع من سعيه الحثيث إلى توحيد أرجاء البلاد وإخضاع أقيالها لسلطة الدولة المركزية مجددًا ولاسيما المعادين لقبيلته اليزنية وسطوتها السابقة على مقاليد السلطة أجمع، والتي استمرت حتى ظهور الإسلام. وما زاد الطين بلّة على هذا الصعيد؛ خضوعه للشروط المجحفة والمقدمة من الغازي الجديد، وتمثّلت في قبوله بسيادتهم السياسية والعسكرية على بلده، وتحولت على إثر ذلك إلى دولة تابعة لهم[٦] حالها حال دولة المناذرة[١]، فضلًا عن المشكلة المتعلقة بها تبقى

---

(١) الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير واقيال اليمن. المطبعة السلفية. القاهرة، ١٩٧٥م. ط٢. ص١٥١.

(2) CIH 541/17.

(٣) الفرح: الجديد في تاريخ وحضارة سبا وحمير، مج٢. ص١١١٠.

(٤) لم يكن لدى كسرى فارس انو شروان جدية في مساعدة سيف بن ذي يزن كي يحرر بلده من نير الحكم الحبشي ودعم عشيرته اليزنية ضده في البداية، فعلى الرغم من تحمسه لعرض الثاني بمحالفته وجعل بلاده تحت النفوذ الفارسي مقابل نصرته لهم الا ان الاول كان يخشى من اضعاف جيشه الذي كان حينها يحارب البيزنطيين في بادية الشام اذا ما بادر الى ارسال جزءا كبيرا منه هناك، ففطن الى حيلة يخرج نفسه من هذا المأزق بإرسال جميع السجناء والمتمردين العسكريين القابعين في سجونه من سنوات عديدة ليشكلوا حملة عسكرية صغيرة بقيادة زعيمهم وهرز لمساعدة اليمنيين في تحرير بلادهم ضاربا بذلك ثلاثة عصافير بحجر واحد، انظر كتاب تاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور السيد عبدالعزيز سالم. ص١٤٦.

(٥) سالم: تاريخ العرب قبل الاسلام. ص١٤٨ – ١٤٩.

(٦) سالم: تاريخ العرب قبل الاسلام. ص١٤٩.

من الأحباش والمسيحيين في نجران حيث مقر الكنيسة الرئيسية لنظرائهم في اليمن الذين استقلوا إداريًا عنها يحكمها أقيالها وقساوستها حكمًا ذاتيا دون تدخّلٍ من السلطة المركزية(٢) قبل خروج القوات الأكسومية من البلاد بدعمٍ من بيزنطة المادي واللوجيستي حيث استمروا بهذا الحال حتى اعتناق أهلها للإسلام(٣)، والوضع الاقتصادي المنهار، وغيرها من المشاكل والأزمات الداخلية التي ورثها عن أسلافه حتى مقتله عام ٥٩٥م(٤) ليخلفه باذان وهو واحد من قادة الجيش الفارسي في اليمن بحكم البلاد التي أضحت في عهده ولاية فارسية خالصة حتى دخول الإسلام إليها في عام الوفود السنة التاسعة للهجرة الموافق ٦٣١م(٥).

أما العوامل الداخلية التي أثّرت على الاقتصاد الأكسومي خلال تلك الحقبة؛ فكانت معظمها سياسية وأمنية، حيث بدأت القلاقل والاضطرابات الداخلية تعمّ تدريجيًا أرجاء أكسوم خاصةً والحبشة عامةً إثر تنحي الملك كالب المفاجئ عن العرش عام٥٢٥م(٦) والتي اختلف المؤرخون الأثيوبيون أو الأجانب حول أسبابها؛ فمنهم كصادق ميكوريا أوعزها إلى تنحيه طوعًا ودخوله سلك الرهبنة حيث اعتكف في أحد الأديرة القريبة من عاصمة المملكة وبقي فيها معتزلا الناس إلى أن وافاه الأجل معتمدين على الأدبيات الحبشية المكتوبة في تلك الفترة(٧)، بينما آخرون ومن بينهم ثريا منقوش يعتقدون بأنه تخلى عن عرشه

---

(١) العودي: المدخل الاجتماعي. ص١٢٦.

(٢) بيجوليفسكايا: اثيوبيا وحمير. ص١١٠.

(٣) الشجاع: تاريخ اليمن في الاسلام. ص٣٠.

(٤) الزركلي: الاعلام، ج٣. ص١٤٩.

(٥) شيبمان: تاريخ الممالك القديمة. ص١٢١.

(٦) الفرح: الجديد في تاريخ وحضارة سبا وحمير، مج٢. ص١٠٦٠.

(٧) ميكوريا: اكسوم المسيحية، مج٢. ص٤٢٢.

كرهًا لابنه جبري مسقل بضغطٍ من الأمراء والمستشارين ولاسيما الموالين لبيزنطة التي لازالت تمارس نفوذها على بلادهم إلى تلك اللحظة معتبرين أن استقلال أبرهة بحكمه لليمن عن الحبشة أكبر دليل على ذلك(1)، ورأي ثالث متمثل بالنقوش المسندية المعاصرة لعهده يرى أنه قتل خلال الغزو الحبشي الثاني عام ٥٢٥م(2) حينما كان يقود جيشه بنفسه خلال القتال مع اليمنيين المتحصنين في مدينة قنا. وسواء تنحى كالب من العرش طوعًا أم كرهًا أو أنه سقط قتيلًا في قلب المعركة؛ ففي النهاية أعطى الفرصة الذهبية لأبرهة كي يعلن استقلاله عن أكسوم ويحكم اليمن حكمًا مستقلًا عام ٥٤٧م(3) ولاسيما على إثر قضائه على ثورة يزيد بن كبشه(4) وإصلاح سدّ مأرب للمرة الأخيرة، والذي أدّى بدوره إلى تحسن الوضع الاقتصادي لليمن خلال الحكم الحبشي نوعًا ما حينما أضحت البضائع والمساعدات البيزنطية والفارسية تتدفق إلى هناك مباشرةً دون وسيطٍ، مما يكشف لنا أن القوّتين العظميين آنذاك كانتا تسعيان لكسب ودّه وبسط نفوذهما عليه(5) ولاسيما بيزنطة التي كانت السباقة إلى ضمه تحت سيطرتها بكلّ جهودها حتى ولو كان على حساب تحالفها مع أكسوم دون أن يؤثر سلبًا على العلاقات القائمة بينهما على وجه العموم(6)، لكنها تسببت بنوعٍ من الفتور الدبلوماسي والتجاري في عهد الامبراطور جستنيان الثاني (٥٢٨ – ٥٦٥م) سيما بعد سعيه الحثيث وراء تأسيس مملكة النوبة المسيحية الموالية له، واعتناق مذهب دولته الرسمي ألا وهو مذهب الطبيعة الواحدة (الأرثوذكسي) خلال النصف

(١) منقوش: سيف بن ذي يزن بين الحقيقة والاسطورة. دار ازال. بيروت، ١٩٨٠م. ص٢٩.

(2)CIH 621/8 – 9 , A 103664/1 – 13.

(3)Ry 506/1,10

(٤) بافقية: في العربية السعيدة، ج٢. دار الفكر المعاصر. بيروت، ١٩٩٣م. ص١٩١ – ١٩٦.

(٥) علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ج٣. دار العلم للملايين. بيروت، ١٩٧٠م. ص٢٠٣.

(٦) الشيبة: محاضرات في تاريخ الحبشة القديم. ص١٩٩.

الأول من القرن السادس الميلادي. الجدير بالذكر أن النوبة وبدعمٍ من بيزنطة انتزعت إقليم مروي القديم من قبضة الأكسوميين الذي تضرر اقتصادهم أشد الضرر جراء فقدانهم له حيث كانت تشكل ٩٠٪ من ثروات إمبراطوريتهم المعدنية والزراعية والحيوانية التي تمدّ إنتاجهم القومي بنصيب الأسد من المواد الخام(١)، فضلًا عن مواصلته ما قام به أسلافه من اضطهادٍ مذهبيٍّ وقمعٍ ممنهجٍ ضدّ أتباع الكنيسة المصرية وقساوستها، وعلى رأسهم البطريرك أثناسيوس الأول حتى يتخلوا عن مذهبهم المينوفيزي بالقوة الجبرية مما أثار حفيظة البلاط والكنيسة الأكسوميين على حدٍّ سواءٍ إن لم نقل غضبهم آنذاك(٢)، لكن هذا لم يؤثر على الوضع الاقتصادي المستقرّ نسبيًا داخل أكسوم بالرغم من الخلافات السياسية التي طغت في الحبشة منذ تنحي كالب عن الحكم حتى مطلع القرن السابع الميلادي(٣)، ورغم تراجع قوة أسطولها البحري العسكري أمام نظيره الفارسي أواخر القرن السادس الميلادي دون أن يمنعه من مساعدة حلفائهم البيزنطيين في تحرير القدس من يد أعدائهم التقليديين الفرس(٤) ولاسيما أنهم طالبوه مرارًا وتكرارًا بذلك من قبل(٥).

(1) Spaulding , jay: the Sudanese travels of krump on the city of sinnar Theodoro krump. London press , 1974. p7.

(٢) هني: العالم البيزنطي. ص١١٥.

(٣) منقوش: سيف بن ذي يزن بين الحقيقة والاسطورة. دار ازال. بيروت، ١٩٨٠م. ص٣٢ – ٣٣

(٤) الشيبة: محاضرات في تاريخ الحبشة. ص١٩٩.

(٥) بيجوليفسكايا: اثيوبيا وحمير. ص١٠٩.

المبحث الثاني:

العوامل الخارجية

تحدثنا عن العوامل الداخلية ومدى تأثيرها على العلاقات بين الطرفين من كافة الأصعدة، فإننا يجب ألا نفصلها عما يدور في الساحة الدولية من صراعاتٍ وأحداثٍ مصيريةٍ طرأت آنذاك حيث تعد الأولى انعكاسًا أساسيًا للثانية، وتحديدًا إبّان النصف الثاني من القرن السادس الميلادي، ولكي نستوفي هذا المبحث حقه من التحليل والمناقشة العلمية الجادّة بما يخدم البحث الجاري؛ فقد ارتأينا أن نتناولَ نبذةً عن الوضع الداخليّ والخارجي للقوى الكبرى في المنطقة، حيث يتزامن مع تأثيرها الخارجي على كليهما خلال الفترة السالفة الذكر بشكلٍ مُفصّل.

الصراع البيزنطي – الفارسي:

فالدولة البيزنطية كما هو معروفٌ لم تتحسن الأوضاع الاقتصادية فيها رغم جهود جستنيان الثاني لرفع النمو الاقتصادي فيها أكثر من ذي قبل بفضل إصلاحاته الجذرية المدروسة التي لم توقف عدوها اللدود آنذاك الدولة الفارسية عن حدّه وتقدمه الناجح على حسابها في الأراضي السورية جرّاء السياسات الخارجية الخاطئة التي قام بها والتي أثقلت كاهل الإمبراطورية بحملاته العسكرية الضخمة لإخضاع ولايتهم الغربية بجنوب ووسط أوروبا بمن فيهم إيطاليا لسيادة البيزنطيين؛ حيث تسببت -على الرغم من انتصاراته الصعبة- بعجزٍ في الميزانية لم يسبق لها مثيل، كادت أن تؤدي إلى الإطاحة به في بدايات عهده عام ٥٣٢م، فعلى الرغم من وقوفها إلى جانب أكسوم خلال احتلالها الثاني لليمن؛ فإن تولي أبرهة حكمها واستقلاله عن الوطن الأم الذي كان يعاني من مشاكل داخلية حينها دفع بيزنطة إلى توطيد علاقاتها المباشرة به ودعمه سياسيًا وعسكريًا دون الرجوع إلى حليفها التقليدي القديم الذي اعتمدت عليه دومًا -كما أسلفنا من قبل- في السيطرة على جنوب الجزيرة العربية وطرقه التجارية المهمة، ولاسيما أنّ بيزنطة كانت تواجه خطرًا عسكريًا كان يتهدد وجودها بحدّ ذاته تمثّل بالانتصارات التي حققها الجيش

الفارسي ضدّهم في عهدي أنو شروان أو كسرى الأول (٥٣١ – ٥٧٨م) وهرمز (٥٧٨ – ٥٩١م) وبرويز أو كسرى الثاني (٥٩١ – ٦٢٨م)[١] جعلتهما قاب قوسين أو أدنى على مشارف فلسطين حيث أعطى استيلائهم الكامل على إثر مصرع سيف بن ذي يزن[٢] دفعةً قويةً لمواصلة الحرب والقتال بلا هوادة، ولاسيما أنها قد تمكنت –بعد تحريرها من الأحباش عام ٥٧٣م– من التحكم للمرة الأولى على خطوط التجارة البحرية والبرية في الشرق الأدنى معًا[٣]، وإن كانوا قد أبقوا على الحكم الذاتي في أقاليم خولان وكهلان ومذحج وحضرموت والمهرة مقابل دفع الخراج والحماية العسكرية لهم من أيّ اعتداءٍ عليهم[٤] كما هو مذكور في الاتفاقيات التي عقدها أول حكامهم مع أقيالها تماشيًا مع النظام الإداري الفارسي الميال دومًا إلى الفيدرالية[٥] دون أن يمنع هذا رجالهم من فئة الأبناء[٦] من السيطرة على معظم وسائل الإنتاج والتجارة والنشاطات الصناعية الرئيسية وبالتالي جعلتهم يتحكمون بالاقتصاد اليمني القديم برمته[٧]، مما زاد في قوّتها السياسية والاقتصادية بشكلٍ كبيرٍ على حدٍّ سواء، إضافةً إلى استفادتها من النزاعات التي طرأت بين البيزنطيين وحلفائهم الغساسنة، والذين كانوا يشكلون شوكةً في خاصرة الفرس التي اقضت

(١) هني: العالم البيزنطي. ص١٠٩ و١١١ و١١٤ و١١٦ و١١٩.

(٢) الزركلي: الاعلام، ج٣. ط٦. ص١٤٩.

(٣) سالم: تاريخ العرب قبل الاسلام. ص١٥١.

(٤) الفرح: الجديد في تاريخ وحضارة سبا وحمير، مج٢. ص١١٤٥

(٥) الشجاع: تاريخ اليمن في الاسلام. ص٢٤ – ٣١

(٦) الابناء هو مصطلح اطلقه الرسول (ص) على المستوطنين الفرس الذين استوطنوا اليمن بعد تحريرها من الاحتلال الحبشي عام ٥٧٣م قرروا البقاء فيها وحكمها حتى بعد اعتناقهم الاسلام عام ٦٢٨م، اقرا كتاب (اليمن في صدر الاسلام). ص٢٤.

(٧) العودي: المدخل الاجتماعي. ص١٢٦.

مضجعهم وحلفاءهم المناذرة[1] مرارًا وتكرارًا، سيما منذ انتصار الغساسنة على الفرس والمناذرة في موقعة مرج حليمة واجتيازهم الضفة الشرقية لنهر دجلة عام ٥٥٤م[2] لتندلع على إثرها الخلافات بين الإمبراطور جستنيان الثاني وبطل المعركة الحارث بن جبلة (٥٢٩ – ٥٦٩م) وخليفته وابنه المنذر بن الحارث (٥٦٩ – ٥٨٠م) للأسباب التالية:

١. تعصّب الحارث الشديد للمذهب المينوفيزي[3] السائد آنذاك في مصر والحبشة إلى حدّ حماية أتباعهم من الاضطهاد الديني من قِبل البيزنطيين الساعين وراء نشر مذهبهم الرسمي الأرثوذكسي في أرجاء ولاياتهم الشرقية[4].

٢. تحريض حكام اليمن الأحباش -ولاسيما أبرهة- ضدّه لموقفه المؤيد لعدوهم سيف بن ذي يزن ورفضهم تسليمه لهم[5] بسبب انتمائهم العرقي لليمن رغم اختلافهما الديني.

---

(١) ضعف المناذرة في مواجهة الغساسنة وعدم قدرتها ملوكها على الانتصار عليهم جعل الاكاسرة الفرس يفقدون ثقتهم الوطيدة بهم تدريجيا وصلت الى حد خلع اخر ملوكهم وهو النعمان بن المنذر وقتله في ٦٠٥م ليضع مكانه اياس بن قبيصة الطائي، اقرا كتاب (الاعلام) لخير الدين الزركلي، ج٢. ص٤٥.

(٢) سالم: تاريخ العرب قبل الاسلام. ص٢٣٩.

(٣) هناك من المؤرخين من يفسر سر تسامح جستنيان الثاني مع اتباع المذهب المينوفيزي في الشام ومصر على الرغم من تشدده في فرض مذهب الطبيعتين الارثوذكسي الرسمي على سكان ولاياتها في الشرق الادنى يعود الى تأثير زوجته الامبراطورة ثيودورا التي كانت مينوفيزية المذهب واكبر معين لهم حيث كانت تدعوه الى التعامل معهم بمنتهى الحكمة واللين، وعقب وفاتها ٥٤٨م تراجع عن قراراته السابقة وبدا بقمع المينوفيزيين بقسوة شديدة كي يجبرهم على اعتناق المذهب الرسمي واحراق كنائسهم اذا اقتضى الامر، انظر كتاب العالم البيزنطي، ج. هني. ص١١٥.

(٤) سالم: تاريخ العرب قبل الاسلام. ص٢٠٣.

(٥) الفرح: الجديد في تاريخ وحضارة سبا وحمير، مج٢. ص١١٤٠ – ١١٤١.

٣. نموّ قوة الجيش الغساني إبّان القرن السادس الميلادي ولاسيما في عهد المنذر بن الحارث إلى حدّ تحدّي نظيريه الفارسي والبيزنطي(١).

٤. تواطؤ ملوك بني غسان مع الفرس سرًّا ولاسيما في موقعتي مرج حليمة ٥٥٤م والجسر الكبير ٥٨٠م.

وغيرها من الأسباب والعوامل التي جعلت البيزنطيين يعيدون النظر في دولة الغساسنة ووضعها السياسي الشبه مستقل، ويضمّونها إلى أراضيهم كولايةٍ رومانيةٍ تخضع لحكم القيصر مباشرةً، وتمثّل ذلك بالحملات العسكرية التي شنّها القياصرة ضدّ المنذر بن الحارث الذي تم اعتقاله بالحيلة ونفيه إلى صقلية وبقائه حتى وفاته هناك عام ٥٨٠م، وكذلك حروبهم ضدّ ولديه النعمان والمنذر التي انتهت باعتقالهما أيضًا عام ٥٨٣م وتحويل ما تبقّى من أمراء بني غسان الضعاف إلى ولاة يتم تعيينهم من قبل القيصر بقرار، وهذه الإجراءات أضعفت سيادة الدولة البيزنطية قبل نظيرتها الغسانية في التحكم ببلاد الشام وحمايتها من هجمات القبائل البدوية، فضلًا عن استغلال الفرس لهذا الوضع واعتبارهم أن الفرصة سانحة للانقضاض على بلاد الشام لتكون مقدمة لاحتلالهم القادم لجارتيها ولايتي مصر وأرمينيا وضمّهما معا لأوّل مرةٍ إلى حظيرة الدولة الساسانية منذ تأسيسها(٢) قبل أن يستفيد القيصر وقائد الجيش البيزنطي السابق موريس (٥٦٥ – ٦٠٢ م) من الاضطرابات الداخلية التي أصابت فارس بعد مرور ١٣ سنة على توليه العرش إثر وفاة سلفه جستنيان الثاني، فعلى الرغم من الرخاء الاقتصادي الذي شهدته الإمبراطورية الفارسية بعيد استيلائها على اليمن –كما أسلفنا من قبل– إلا أنها عانت إبان تلكم الفترة

(١) سالم: تاريخ العرب قبل الاسلام. ص٢٠٣.

(٢) سالم: تاريخ العرب قبل الاسلام. ص٢٠٦ و٢٠٧ و٢٠٨ و٢٢٣.

السالفة الذكر من الاضطرابات الداخلية والنزاعات السياسية التي دارت رحاها بين أقطاب الحكم الساساني كالجيش ومؤسسة القصر من جهة ورجال الدين والمرازبة من جهة أخرى[1]، والذي تمخض عنه إطاحة قائد الجيش الملكي هرمز بكسرى الأول آنو شروان وخلعه من الحكم وقتله عام ٥٧٨م ليحلّ محله في الحكم، بينما لاذ كسرى الثاني ابن كسرى الأول بالفرار من بلده إلى بيزنطة ليصبح لاجئًا عند قيصرها الحالي طالبًا منه المساعدة في استعادة عرشه من مغتصبه غير الشرعي، فوجدها موريس فرصةً لا تعوّض يجب أن تستغل أفضل استغلالٍ حتى يتمكن من إيقاف الزحف الفارسي المتقدّم نحو فلسطين آنذاك، ويتفرغ لمواجهة ثورة قبائل الآفار جنوب الدانوب، والذي تزامن مع حدوث حركة تمرّد في صفوف الجنود الرومان المرابطين هناك، فوافق على مساعدته شريطة أن يسحب جيشه إلى شرق نهر الفرات، وعقد اتفاقية سلامٍ تنهي الحرب القائمة بين الطرفين تجعل بموجبها كسرى الثاني وبلاده تحت الحماية البيزنطية، وهذا ما تحقق فعلًا بعد إرساله الجيش ليقف إلى جانب برويز كي يستعيد عرش آبائه من قبضة هرمز الذي فوجئ بتمرد المرازبة ولاسيما مرازبة ميديا الذين ساعدوه في تولي الحكم عليه وانضمامهم إلى صفوف برويز الذي أطاح بهرمز وقتله عام ٥٩١م[2].

وعقدت المعاهدة بين برويز كسرى الأول وموريس معلنةً انتهاء الحرب البيزنطية – الفارسية الطويلة، لكن السنوات اللاحقة سرعان ما اثبتت أنها لم تعدو مجرد هدنة رسمية ومقدمة لمواصلة الصراع بين الطرفين مجددًا بعد نقض برويز لها مستغلا فترة الفوضى التي

---

(١) المرازبة جمع مرزبان وهي كلمة فارسية قديمة تعني الامير وهي كانت تطلق على طبقة الملاك الاقطاعيين التي ظهرت منذ عهد الدولة الاخمينية، اقرا كتاب (تاريخ العراق القديم) لمحمد دمانديف واخرون، ص٢٥٠.

(٢) هني: العالم البيزنطي. ص١١٩.

عمّت بيزنطة عقب وفاة موريس متأثرًا بجراحه إثر محاولة انقلابية من الجيش بقيادة فوكس للإطاحة به حيث تنصل برويز من وعوده وبدأ باجتياح ولايات سوريا وأرمينيا وفلسطين قبل مجيء قيصر جديد على قمة هرم الإمبراطورية ألا وهو هرقل (٦٠٢ – ٦٤١م) ليتحطم مشروعهم التوسعي ويهزموا شرّ هزيمة على يديه بصعوبةٍ في بيت المقدس[١] عام ٦١٤م[٢]. أما مدن الحجاز؛ فلم تتأثر سلبًا بهذا الصراع المستعر والدائر بينهما، والتي كان وجه الخير في ازدهار الوضع التجاري ولاسيما بعد تحررها من احتلال أبرهة الحبشي لها[٣] منذ استيلائه على الطائف عام ٥٤٠م[٤] حتى عام ٥٧٠م[٥]، وعانت خلالها من تضييق قواته البرية والبحرية لاقتصادها القائم على الحج وتجارة الترانزيت ولاسيما أنها لم تكن دويلات مدن بالمعنى المفهوم آنذاك بحيث يصبح لديها جيشٌ نظاميٌّ وأسطولٌ بحريٌّ واقتصادٌ رسميٌّ متنوعٌ شاملٌ للصناعة والزراعة تحقق منتوجاتها الأساسية بعائداتها المالية نوعًا من الاكتفاء الذاتي، فقد كانوا مجرد قبائل أو عشائر تجمعهم رابطة الدم والمصالح المشتركة دون أن ينشا بين ظهرانيهم مجتمع مهني وحرفي منهم حيث كان معظم الحرفيين من الأجانب المقيمين فيها، أما سكانها الأصليين؛ فقد اعتمدوا فقط على عملهم الوحيد كوسطاء تجاريين لنقل البضائع التجارية المختلفة من كلّ حدبٍ وصوب، ولاسيما المصنوعات والصادرات اليمنية التي كانت تعاني من الضرائب المفروضة عليها من قبل

(١) سورة الروم: الآيات ١ – ٤.

(٢) هني: العالم البيزنطي. ص١٢٢.

(٣) سورة الفيل: الآيات ٣ – ٥

(4) Ry 506/10.

(٥) سالم: تاريخ العرب قبل الاسلام. ص٢٩١.

الأحباش كما أسلفنا الذكر من داخل اليمن إلى خارجها سرًا(1) بموجب مواثيق واتفاقيات غير رسمية تعقد بين الأقيال الحميريين ولاسيما اليزنيين المعارضين لحكم أبرهة عليهم وتجّار مكة على هذا الأساس(2)، مما يكشف لنا أن حملة أبرهة العسكرية لاحتلال الحجاز كانت لأسباب اقتصادية وسياسية بحتة كما ذكرنا مسبقًا(3)، ولاسيما بعد بسط الفرس الساسانيين نفوذهم وسيطرتهم على جنوب الجزيرة العربية حيث حصل الحجازيون على امتيازات كثيرة وحظوة أكبر لدى الفرس الساسانيين بسبب موقفه المؤيد لهم خلال مطلع القرن السادس الميلادي ضد الرومان وصلت إلى حد أن يسمح لهم بإقامة أسواقهم الخاصة داخل اليمن والعراق ويحتكروا تجارة الترانزيت من الهند حتى شبه الجزيرة العربية تحت إشرافهم ورقابتهم(4) لتكون رافدًا جديدًا ومهمًا ساهم في مضاعفة ثرائهم الاقتصادي إلى جانب خطي اليمن – الحبشة في الشتاء والشام – مصر في الصيف(5).

---

(1) Fage , john ; Oliver , Roland: the commerce between roman empire and India. the journal African history. London press , 1978. p50.

(٢) سالم: تاريخ العرب قبل الاسلام. ص٣٠٧.

(٣)عاقل: تاريخ العرب القديم. ص٢٥٧.

(٤) سالم: تاريخ العرب قبل الاسلام. ص٣٠٦.

(٥) سورة قريش: الآيتين ١ و٢.

الخاتمة

لم تسعفنا المصادر والمراجع التي بحوزتنا كثيرًا بمدّنا بالمعلومات المطلوبة حول العلاقات اليمنية – الحبشية في القرن السادس الميلادي ولاسيما إبان فترة الاحتلال الحبشي الثاني لليمن وما تلاها، حيث دارت معظمها في الجوانب السياسية والعسكرية على حساب محور دراستنا ألا وهو الجانب الاقتصادي والاتفاقيات التجارية التي عقدت بين البلدين، دون أن يمنعنا هذا من بذل عصارة جهدنا ونستشفّ ما يفيد بحثنا كي يوصلنا إلى النتائج التالية:

١. لم يؤثر اكتشاف البطالمة للرياح الموسمية في القرن الأول قبل الميلاد سلبًا على الاقتصاد اليمني القديم سوى على الاقتصاد السبئي فحسب دون نظيراتها اليمنية القديمة، ولاسيما الدول التي ظهرت حديثا على الساحة مثل الحميريين، بل أصبح خلال فترة التوسع الإمبراطوري الحميري الذي بدأ منذ عهد شمر يهحمد أكثر قوة من ذي قبل، حيث انتقل مركز الثقل الاقتصادي من المدن الصحراوية المجاورة لمجاري الأودية إلى نظيراتها في المرتفعات الوسطى والسواحل الغربية.

٢. هناك دراسات ومصادر أثرية تؤكد غزو اليمنيين والحميريين خاصةً للحبشة وبالتحديد في عهد شمر يهحمد.

٣. يشوب معظم النقوش الرسمية التي سطرها أهم ملوك أكسوم إبان القرنين الرابع والخامس الميلاديين مثل عيزانا وتتحدث عن ضمّ اليمن إلى إمبراطوريتهم الواسعة كثير من الشكوك، ولاسيما بعد أن أضحت الأخيرة في العصر الحميري الثالث والأخير إمبراطورية قوية وراسخة الأركان وصل حدود دولتها إلى العراق وفارس وجنوب بيزنطة وقواتها البحرية تبسط سيطرتها على مياه البحرين الأحمر والعربي على حدٍّ سواء منذ القرن الخامس الميلادي حتى مطلع القرن السادس الميلادي،

ومن الصعب في عزّ قوّتها أن تكون محتلّةً من قبل دولة أضعف منها تقريبًا، وهذا ما دفع بعض المؤرخين والباحثين إلى أن يعزو إضافة اسمها في النقوش السالفة الذكر إلى سعيهم لتعميق ارتباطهم بوطنهم الأم وإضفاء الشرعية على سلالتهم المقدسة التي يذكرون أنها تنتمي إلى نسل نبي الله سليمان عليه السلام ملك فلسطين وزوجته الملكة بلقيس أو ماكيدا كما هو مذكور اسمها في كبرانجست ملكة سبأ.

٤. معظم مكونات النظام الإداري في دولة أكسوم مستمدّ من نظيره اليمني القديم، والباقي من أنظمة مقتبسة من بيزنطة وكوش، ويعود ذلك التنوع الإداري إلى التركيب العرقي والديني لسكانها.

٥. انعكس توسّع حمير الامبراطوري في شمال الجزيرة العربية إيجابًا على مجالات الحياة اليومية، ولاسيما المجال الاقتصادي؛ حيث حدثت طفرة هائلة في مجالي الصناعة والتجارة البحرية وإن كان على حساب الزراعة والتجارة البرية، نفس الشيء ينطبق على أكسوم أيضًا.

٦. سعت بيزنطة في عهد جستنيان الأول من أجل مواجهة الفرس وكبح جماح التفوق الحميري وانتزاع طرق التجارة البرية البحرية من سيطرتهم إلى التحالف مع خصم الحميريين ممثلًا بمملكة أكسوم، ودعمه سياسيًا وعسكريًا واقتصاديًا، ولاسيما أن بيزنطة كانت تعاني من أزماتٍ داخليةٍ وخارجيةٍ تمثّلت في ثورات القبائل القوطية والجرمانية في جنوب نهر الدانوب، والصراع المذهبي، ...إلخ، كما أنّ العلاقات بين بيزنطة وأكسوم قديمة وتعود إلى زمن الإمبراطور قسطنطينيوس، ومن الوسائل الهامة لتحقيق هذا الهدف السعي إلى نشر المسيحية فيها وإن اعتنق أهلها مذهبا مخالفًا لمذهبها الرسمي ألا وهو المذهب المينوفيزي، وبمساعدة رهبانٍ سوريين

يعتنقون المذهب النسطوري وفتح الأسواق البيزنطية أمام الصادرات الأكسومية، ودعم عيزانا في حروبه التوسعية ضدّ مملكة مروي وضمّها إلى أراضيه.

٧. على الرغم من اعتناق عيزانا المسيحية وجعلها دينًا رسميًا للدولة؛ إلا أنها كانت محصورة ضمن نطاق النخبة الحاكمة فحسب، ولم تنتشر في أرجاء اكسوم بالقوة التدريجية إلا في مطلع القرن الخامس الميلادي، ويعزى ذلك إلى صعوبة التضاريس ومقاومة الشعوب المنضوية تحت لوائها لها.

٨. اعتناق معظم اليمنيين لليهودية منذ عهد أسعد الكامل أو أبكرب أسعد كما في النقوش حتى يواجهوا النفوذ البيزنطي من جهة ونظيره الأكسومي من جهة أخرى.

٩. رغم انتشار اليهودية في أوساط الشعب اليمني القديم آنذاك؛ إلا أنها لم تكن الدين الرسمي للدولة، إضافةً إلى أنها لم تمنع بعض الأقيال من الاحتفاظ بمعتقداتهم الوثنية أو اعتناق المسيحية التي بدأت بالظهور في المنطقة منذ منتصف القرن الخامس الميلادي، وهي الفترة التي ظهرت فيها ديانة جديدة ظلت محصورة ضمن نطاق الطبقة الحاكمة ألا وهي التوحيد الحميري، وهذا يكشف لنا تمتع اليمن في عهد الدولة الحميرية بحرية الأديان والمعتقد واسعة لا تجدها في بيزنطة أو أكسوم وإن كان هذا ناتجًا عن ضعف السلطة المركزية للدولة آنذاك.

١٠. كلا الدولتين الحميرية والأكسومية كانتا تعانيان وقتها من تزايد سلطة مراكز القوة الاجتماعية على حساب قوة الدولة المركزية الذين كانوا يستغلون لحظات ضعفهما الناتجة عن الحروب التوسعية التي خاضوها، لكنه استفحل بشكلٍ كبيرٍ في حمير حيث تدخل الأقيال والأذواء في عملية تنصيب وخلع الملوك منذ عهد شرحبيل

يعفر (٤١٠ – ٤٥٥م) ولاسيما أن معظمهم كانوا فيما سبق يعملون في أجهزة الدولة العسكرية والمدنية، بينما الملوك الأكسوميين نجحوا في احتوائهم والسيطرة على نفوذهم عبر نظام عسكري وسياسي صارم يضمن لها السيادة المطلقة عليهم وفي نفس الوقت تضمن لهم مصالحهم الخاصة شريطة أن يكونوا من حاشيتهم الملكية فقط.

١١. الملك الحميري شرحبيل يكمل هو أول من بدأ باضطهاد المسيحيين في اليمن ومطاردتهم وارتكاب المذابح بحقهم دون تمييزٍ بينهم؛ سواء أكانوا يمنيين أم لا، كما تذكر المصادر الأكسومية ذلك بحجة مقاومة تغلغل النفوذ الأكسومي في البلاد معتبرًا إياهم خونة وبمثابة طابور خامس يخدم مصالحه ويهدد الوحدة الوطنية من الداخل.

١٢. ظل الاقتصاد اليمني القديم محافظًا على رخائه الإنتاجي سواء قبل الاحتلال الحبشي الثاني أم بعده رغم الظروف السياسية والاجتماعية السيئة التي عانته البلاد خلال تلك الحقبة ولكن بنسب متفاوتة، فخلال القرن الخامس الميلادي تفوّقت التجارة والصناعة على الزراعة عبر مؤسسات الدولة الاقتصادية ونظيرتها الخاصة، وفي القرن السادس الميلادي التي تعرف أيضا بفترة الاحتلال الأجنبي لليمن تفوّقت التجارة على الصناعة عبر المؤسسات الاقتصادية الخاصة المحلية والأجنبية على حدٍّ سواء.

١٣. الاتفاقيات التجارية التي وُقِّعَت بين الدولتين الحميرية والأكسومية قبل الاحتلال الحبشي الثاني أعطت معظمها امتيازات اقتصادية كثيرة للرعايا الأكسوميين على حساب نظرائهم الحميريين وصلت إلى حدّ شرائهم العديد من المؤسسات الصناعية

والزراعية المحلية والعقارات المملوكة للدولة، كما حدث في عهد الملكين مرثد الن ينوف ومعد كرب يعفر.

١٤. لم يكن يوسف أثار يهوديًا ولا مسيحيًا ولا توحيديًا حميريًا كما تؤكد نقوشه المسندية ذلك، بل إن كثير من قادة جيشه ودولته ينتمون إلى مختلف الأديان السائدة في بلده آنذاك، وما حدث في نجران كان ناتجًا عن معركة دموية اندلعت بين القوات الحميرية المحاصرة للمدينة وسكانها؛ وليس عن مجزرة ارتكبها الأول بحقّ المسيحيين فيها عبر إحراقهم في جوف الأخدود الذي قاموا بحفره خصيصًا لذلك والذي لم يذكر البتة في النقوش المسندية أيضًا.

١٥. لم يسعَ الملك يوسف أثار أو يوسف ذو نواس إلى محاربة أتباع الديانة المسيحية من أبناء بلده؛ ولاسيما الأقيال لأسباب دينية، بل لتورط بعضهم في التعاون الوثيق مع الأحباش الذين كان يقاوم نفوذهم العسكري والسياسي في المنطقة.

١٦. الصراع الحميري – الأكسومي هو امتداد للصراع الأزلي بين الامبراطوريتين الفارسية والبيزنطية.

١٧. الصناعات الحبشية الأكسومية كانت أقل تطورًا وجودةً من نظيرتها اليمنية الحميرية وتعاني ضعفًا في الإمكانيات المادية والبشرية المخصصة لها.

١٨. العلاقات الاقتصادية بين أكسوم وفارس كانت أفضل حالًا من نظيرتيها السياسية والدينية رغم التنافس التجاري بينهما بغية السيطرة على موانئ الهند وسيلان إبان القرن الخامس الميلادي، بينما العلاقات الاقتصادية والسياسية بين حمير وبيزنطة تحسنت كثيرًا على حساب نظيرتيها العسكرية والدينية منذ القرن الرابع الميلادي حتى مطلع القرن السادس الميلادي.

١٩. لم يكن التوحيد الحميري ديانةً سماويةً بالمعنى المفهوم، فلم يأتِ نبيٌّ من عند الله للتبشير بها لدى سكّان اليمن، وليس لديها كتاب مقدّس مُنزل من عند الله، ولا طبقة رجال دين يتولّون تعليمه وترسيخ مبادئه لدى العامة؛ بل كان مجرّد معتقدات فكرية تداولها بعض الملوك الحميريين في نقوشهم إبان النصف الثاني من القرن الخامس الميلادي.

٢٠. كانت الدولتان الحميرية والأكسومية إمبراطوريتين صاعدتين تتنافسان على أجزاء من محيطهما الإقليمي، وإن قد تميزت أكسوم عن حمير بأنها حظيت بدعم خارجي غير محدود من الإمبراطورية البيزنطية مما انعكس إيجابا على أمنها واستقرارها الداخلي، وكان الأمر سيّان بالنسبة للفرس والبيزنطيين الذي استمروا في عدائهم الشبه المطلق للإمبراطورية الحميرية حتى مطلع القرن السادس الميلادي.

٢١. ازداد نفوذ مراكز القوى الاجتماعية التقليدية في اليمن القديم على حساب الدولة المركزية منتصف القرن الخامس الميلادي نتيجة الحروب والحملات العسكرية التوسعية التي خاضتها حمير في عصرها الثالث وأرهق جيشها النظامي وأضعف اقتصادها المزدهر منذ مطلع القرن الرابع الميلادي؛ حيث أضحت لدى الأقيال والأذواء ومعظمهم من فئة الأعراب، إضافةً إلى أنهم كانوا موظفين في أجهزة الدولة العسكرية والمدنية جيوشهم الخاصة ومخاليفهم المستقلة فأصبحوا بين عشيةٍ وضحاها دولةً داخل الدولة، وعندما أراد آخر الملوك الحميريين يوسف أسار يثار وسميفع أشوع وسيف بن ذي يزن إخضاعهم للسلطة المركزية تعاونوا مع الغزاة الأحباش عام ٥٢٥م والفرس عام ٥٧٣م.

٢٢. تحوّل النظام الإداري في اليمن القديم منتصف القرن الخامس الميلادي من النظام الفيدرالي المزدوج إلى الحكم الذاتي.

٢٣. الصراع بين اليمن والحبشة كان لأسباب اقتصادية وسياسية بحتة.

٢٤. تركّزت عمليات التبادل التجاري بين البلدين في القرن السادس الميلادي عبر مينائي المخا اليمني وعدوليس الحبشي.

٢٥. تحوّل اليمن القديم في العصر الحميري إلى دولة صناعية مما أثر سلبًا على إنتاجها الزراعي ومشاريعها الإروائية دون أن يلقي بظلاله على صادراتها الزراعية إلى الحبشة.

٢٦. الصادرات اليمنية إلى الحبشة كان معظمها صناعية، وتمثّلت في القمح والشعير والمواشي ودروع السلاحف والأواني الزجاجية والعطور والمصنوعات الجلدية والمنسوجات والملابس والسيوف والرماح والدروع والمجوهرات والأحجار الكريمة والأغنام والأبقار؛ عكس واردتها الحبشية، وكان معظمها زراعية وحيوانية ومكونة من الحبوب والبقوليات والأزهار والفواكه والأواني المنزلية والحديدية وقرون وحيد القرن والمرّ والعاج وريش النعام والماعز والضأن والأغنام والجلود، واستمر الأمر على هذا المنوال حتى بعد تحرير اليمن من الأحباش.

٢٧. لم يكن هناك اتفاقيات تجارية أو حتى رسمية بين الطرفين؛ ولاسيما خلال فترة الاحتلال الثاني، حيث عدّ الأحباش اليمن مجرّد مستعمرة تابعة لها وثرواتها الطبيعية والبشرية ملك لهم مما دفعهم إلى أسر وأخذ العديد من الكفاءات والخبرات العلمية والصناعية والزراعية اليمنية إلى الحبشة بغرض تطوير وتأهيل الاقتصاد الأكسومي الذي كان متخلفًا عن نظيره اليمني؛ ولاسيما في حقلي الصناعة

والزراعة، إضافةً إلى سعيهم إلى تحويل البلاد إلى منجم للمواد الخام فقط لتغذية المصانع الأكسومية ذات التكوين المتواضع حيث لم تصل إلى مرحلة مصانع كبرى إلا حوالي منتصف القرن السابع الميلادي، بل إنهم منعوا أي شخص من أبناء البلد حتى ولو كان حليفًا لهم يحاول حماية الاقتصاد المحلي من أيّ مشروع يستهدف إضعافه والنيل منه كما حدث مع سميفع أشوع أول ملك يمني في حقبة الاحتلال.

٢٨. الاتفاقية التي عقدت بين الملك الحميري سميفع أشوع ومن معه من الأقيال اليزنيين والكلاعيين والجدنيين مع ملك اكسوم كالب أو أيلا أصبحا في اليمن ويعود تاريخها إلى مطلع القرن السادس الميلادي وتحديدًا بعد الاحتلال الحبشي مباشرةً، وكما هو مذكور في السطور ٢ – ٥ من نقش ثأران أنها على ما يبدو ميثاق أو حلف دائم حمل الصبغة الرسمية نوعًا ما بين الطرفين تعهّد بها الأول بالولاء التام للثاني، وحكم البلاد تحت حماية الدولة الأكسومية ووصايتها الفعلية على السياستين الداخلية والخارجية لها؛ مما يكشف لنا أن اليمن أضحت بمفاهيم العصور الحديثة محمية حبشية وليست مستعمرة تدار من قبل المستعمرين، وعلى هذا الأساس أضحت تحكم من قبل أبنائها الموالين للمستعمر، وعلى الرغم من أنها اتفاقية ذات صبغة سياسية وعسكرية؛ إلا أنها رسمية؛ أيّ أن موادها شاملة وتسري على كافة المجالات الحيوية بمن فيها الاقتصادية والتجارية وتعيد رسمها وتخطيطها بما يتلاءم مع محتوياتها المتعلقة بالأهداف التي قامت من أجلها والتي لو دققنا عليها قليلًا سنجد أن الاقتصاد اليمني القديم آنذاك كان مجندًا لخدمة أكسوم فحسب.

٢٩. نجح أبرهة بالتدريج في الاستقلال بحكمه عن الدولة الاكسومية مستفيدًا من الاضطرابات الداخلية التي حدثت في أكسوم إثر تنحّي كالب عن العرش عام ٥٣٢م ودعم معظم الأقيال والأذواء من كافة الطوائف والقبائل والمناطق له ضدّ

خصومهم من أقيال القبيلة اليزنية التي استأثرت بالسلطة ومؤسسات الدولة قبل الاحتلال لسنوات خلت، وهذا ما دفع اليزنيين -ولاسيما زعيمها البارز سيف بن ذي يزن- إلى الثورة عليه والسعي للقضاء على الوجود الحبشي في البلاد بأيّ شكل من الأشكال وطلب المساعدة من الفرس لتحقيق ذلك.

٣٠. حملات أبرهة العسكرية لاحتلال مدن الحجاز منذ استيلائه على الطائف عام ٥٤٢م ومكة عام ٥٧٠م لم تكن لأغراض دينية؛ بل كانت غطاءً تمويهيًا لتحقيق الهدف الرئيسي منها ألا وهو السيطرة على طريق القوافل التجارية الممتد من قنا في اليمن إلى غزة في الشام، وبتحريض ودعم من الدولة البيزنطية، ولاسيما أن أبرهة لم يسع إلى إلغاء منهج التسامح الديني الذي كان سائدًا في البلاد قبل الاحتلال وفرض المسيحية على سكانها المحليين على الرغم من بنائه العديد من الكنائس الضخمة فيها.

٣١. كانت الإمبراطوريتين الفارسية والبيزنطية تسعيان إلى كسب ود أبرهة وضمه إلى صفّها خلال فترة حكمه، ولاسيما أن الحرب كانت دائرةً بينهما وأسفرت عن تفوّق الفرس على البيزنطيين وإحراز الانتصارات عليها؛ وبالتالي أدى إلى استيلائها على ولايتها في أرمينيا وشمال سوريا النصف الأول من القرن السادس الميلادي.

٣٢. تحرير اليمن من الأحباش عام ٥٧٣م وسقوطها بيد الفرس الساسانيين عام٥٩٥م لم يؤثر سلبًا على الاقتصاد الأكسومي القائم بفضل تحكّم حكامه بالطرق التجارية نحو مصر وتطور التبادل التجاري المباشر مع تجار الحجاز على نظرائهم في اليمن.

٣٣. سيطرة الفرس الكاملة على اليمن على إثر مصرع سيف بن ذي يزن عام ٥٩٥م جعلتهم يتحكمون بمفاصل التجارة البحرية والبرية على حدٍّ سواء لأول مرة في

تاريخ الدولة الساسانية، كما أن الاقتصاد اليمني القديم الذي لم يكد يفيق من صدمة الحكم الحبشي بعد حتى أضحى في قبضة الغازي الجديد وأعوانه.

٣٤. لم يكن معظم الأقيال المتحالفين مع الأكسوميين خلال اعتداءاتهم على اليمن في فترات متفاوتة ولاسيما فترة الاحتلال الحبشي الثاني من المسيحيين؛ بل كانوا من المتضررين من سيطرة بعض الأقيال المتنفذين في الدولة على مفاصل الحكم في العصر الحميري الثالث؛ ولاسيما القبيلة اليزنية.

٣٥. بتفكك اليمن إلى مخاليف ذات حكم ذاتي بعد انهيار سلطة الدولة المركزية منتصف القرن الخامس الميلادي وبالتالي سقوطها في قبضة الاحتلالين الحبشي والفارسي لم تقم للحضارة اليمنية القديمة قائمة منذ ذلك الحين.

قائمة المصادر والمراجع

المراجع العربية:

القرآن الكريم:

الكتب والدوريات:

١. الأحمد، سامي سعيد: تاريخ الخليج العربي من أقدم الأزمنة حتى التحرير العربي. مطبعة جامعة البصرة، ١٩٨٥م.

٢. أحمد، مهيوب غالب: عرض موجز لتاريخ العلاقات اليمنية – الحبشية. مجلة بينون، العدد الأول. جامعة ذمار، ٢٠٠٤م.

٣. اسماعيل، عارف أحمد: تاريخ مصر والسودان. دار الشوكاني للطباعة والنشر. صنعاء، ٢٠٠٤م.

٤. اسماعيل: تاريخ العراق وبلاد الشام. دار المنتدى الجامعي للطباعة والنشر. صنعاء، ٢٠٠٢م.

٥. اسماعيل: محاضرات في مدارس تفسير التاريخ. دار الكتاب الجامعي. صنعاء، ٢٠٠٧م.

٦. الأشبط، علي محمد: الأحباش في تاريخ اليمن القديم – من القرن الأول الميلادي حتى القرن السادس الميلادي (دكتوراة غير منشورة) جامعة صنعاء، ٢٠٠٥م.

٧. الأشبط: الأعراب في تاريخ اليمن القديم. وزارة الثقافة والسياحة. صنعاء، ٢٠٠٤م.

٨. الأغبري، بدر: التعليم في عدن خلال مدة ما قبل الاستقلال من سنة ١٨٣٩م إلى ١٩٦٧م. مجلة بينون، العدد الأول. جامعة ذمار، ٢٠٠٤م.

٩. أمين، أحمد: فجر الإسلام. دار الكتاب العربي. بيروت، ١٩٥٩م.

١٠. الانصاري، عبد الرحمن وآخرون: دراسات تاريخ الجزيرة العربية. مطبوعات جامعة الرياض. الرياض، ١٩٧٩م. ٢ج.

١١. انفري، فرانسيس: حضارة أكسوم من القرن الأول إلى القرن السابع – تاريخ أفريقيا العام، ترجمة: جمال مختار. جون أفريك (الشباب الأفريقي بالفرنسية). اليونسكو. باريس، ١٩٨٥م. ٢ مج.

١٢. با فقيه، محمد عبد القادر: في العربية السعيدة. دار الفكر المعاصر. بيروت، ١٩٩٣م. ٢ج.

١٣. با فقيه: اليزنيون الجدنيون... من القيالة إلى الملك. دراسات يمنية، العدد الحادي والثلاثين. مركز الدراسات والبحوث اليمني. صنعاء، ١٩٨٨م.

١٤. با فقيه: توحيد اليمن القديم. المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية. صنعاء، ٢٠٠٧م.

١٥. با فقيه: تاريخ اليمن القديم. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت، ١٩٨٥م.

١٦. با فقيه، محمد عبد القادر؛ روبان، كريستيان: أهمية نقوش المعسال. مجلة ريدان، العدد الثالث. عدن، ١٩٨٠م.

١٧. بكر، محمد إبراهيم: تاريخ السودان القديم. مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة، ١٩٨٤م.

١٨. البني، عدنان: تدمر والتدمريون. وزارة الثقافة والإرشاد القومي. دمشق، ١٩٧٨م.

١٩. بهنسي، عفيف: تدمر من إبداع البشر إلى جن سليمان. مجلة العربي، العدد ٢٧٧. الكويت، ١٩٨١م.

٢٠. بيجوليفسكايا، ز. ف: أثيوبيا وحمير في القرنين الخامس والسادس الميلاديين، ترجمة: قائد محمد طربوش. مجلة الإكليل، العدد ٢٦. صنعاء، ٢٠٠٢م.

٢١. بيريسيبكين، أوليغ: اليمن واليمنيون في ذكريات دبلوماسي روسي، ترجمة: اسكندر كفوري واخرون. دار ومكتبة الهلال. بيروت، ٢٠٠٤م.
٢٢. بيوتروفسكي، ميخائيل: ملحمة أسعد الكامل، ترجمة: شاهر حسن آغا. وزارة الإعلام والثقافة. صنعاء، ١٩٨٤م.
٢٣. جايدة، أيفونا: التوحيد في جنوب الجزيرة العربية من القرن الرابع إلى السادس الميلادي. حوليات يمانية. المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية. صنعاء، ٢٠٠١م.
٢٤. الجرو: دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم. دار الكتاب الحديث. القاهرة، ٢٠٠٣م.
٢٥. الجرو، أسمهان: الطبقة الحاكمة في سبأ في عهد ملوك سبأ وذي ريدان (القرن الأول وحتى الثالث الميلادي) مجلة دراسات سبئية. صنعاء، ٢٠٠٥م.
٢٦. الجرو: موجز التاريخ السياسي لجنوب الجزيرة العربية. دار جامعة عدن، ٢٠٠٢م.
٢٧. الجرو، أسمهان: مصادر تاريخ عمان القديم. الشركة العربية للنشر والتوزيع. عمان، ٢٠٠٥م.
٢٨. الجفري، زهور: تاريخ اليمن. مركز الراية للطباعة والنشر. الدوحة، ٢٠٠٠م. ٢ج.
٢٩. حبتور: أسماء أعلام الأفراد في نقش عبدان الكبير. مجلة الإكليل، العددان ٣٣ – ٣٤. صنعاء، ٢٠٠٩م.
٣٠. حبتور، ناصر صالح يسلم: اليزنيون... موطنهم ودورهم في تاريخ اليمن القديم. دار الثقافة العربية. الشارقة، ٢٠٠٢م.
٣١. الحبيشي، حسين: اليمن والبحر الأحمر. دار الفكر المعاصر. بيروت،

١٩٨٩م.
٣٢. حتي، فيليب وآخرون: تاريخ العرب. دار غندور للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت، ١٩٧٤م. ط٥.
٣٣. الحجري، محمد علي: لغة الضاد ونقوشها المسندية. مطابع التوجيه. صنعاء، ٢٠٠٥م، ٢ج.
٣٤. الحداد، محمد يحيى: التاريخ العام لليمن. وزارة الثقافة والسياحة. صنعاء، ٢٠٠٤م، ٤مج.
٣٥. الحديثي، نزار عبد اللطيف: أهل اليمن في صدر الإسلام. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت (د. ت).
٣٦. حسن، يوسف فضل: العلاقة بين الثقافة العربية والثقافات الأفريقية. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. تونس، ١٩٨٥م.
٣٧. الحمد، جواد مطر: الأحوال الاقتصادية في اليمن القديم. دار الثقافة العربية. الشارقة، ٢٠٠٢م.
٣٨. الحميري، أمل عبد المعين: جزيرة سقطرى عبر التاريخ. مجلة الإكليل، العدد ٢٨. صنعاء، ٢٠٠٤م.
٣٩. الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقيال اليمن. المطبعة السلفية. القاهرة، ١٩٧٥م. ط٢٢.
٤٠. الخطيب، أحمد شفيق وآخرون: الموسوعة العلمية الميسرة. مكتبة لبنان ناشرون. بيروت، ١٩٨٤م.
٤١. دماج، ليبيا عبد الله ناجي: المحاصيل الزراعية في اليمن القديم (دراسة تاريخية). دار النشر للجامعات. صنعاء، ٢٠١٢م.
٤٢. دمانديف، محمد وآخرون: العراق القديم – دراسة تحليلية لأحواله الاقتصادية والاجتماعية، ترجمة: سليم طه التكريتي (د. ن) بغداد، ١٩٧٦م.

٤٣. ربيع، حسنين محمود: دراسات حول الدولة البيزنطية. مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة، ١٩٨٣م.
٤٤. رنيسمان، ستيفن: الحضارة البيزنطية، ترجمة: عبد العزيز جاويد. الهيئة المصرية للكتاب. القاهرة، ١٩٩٧م.
٤٥. رودوكاناكيس، نيكولاس: الحياة العامة للدول العربية الجنوبية، التاريخ العربي القديم، ترجمة: فؤاد حسنين. مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة، ١٩٥٨م.
٤٦. الزركلي، خير الدين: الإعلام. دار العلم للملايين. بيروت، ١٩٨٠م، ٨ج. ط٦.
٤٧. سالم، السيد عبد العزيز: تاريخ العرب قبل الإسلام. مؤسسة شباب الجامعة. الإسكندرية، ١٩٦٩م.
٤٨. سعيد، نعمان أحمد: القوانين العربية القديمة في مملكتي قتبان والحضر (دراسة مقارنة) المكتب الجامعي الحديث. الاسكندرية، ٢٠٠٤م.
٤٩. السقاف، حمود: ملوك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت. مركز عبادي للدراسات والنشر. صنعاء، ٢٠٠٥م.
٥٠. سمسم، عبد المعطي بن محمد: العلاقات بين شبه الجزيرة العربية والحبشة – منذ أقدم العصور وحتى نهاية العهد الحبشي باليمن. ايتراك للطباعة والنشر. القاهرة، ٢٠٠٨م.
٥١. شاربونييه، جان: الري في اليمن ما قبل الإسلام، مجلة حوليات يمانية. المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية. صنعاء، ٢٠٠٩م.
٥٢. الشجاع، عبد الرحمن: تاريخ اليمن في الإسلام. دار الفكر المعاصر. صنعاء، ١٩٩٣م. ط٣.
٥٣. شرف الدين، أحمد حسين: تاريخ اليمن الثقافي. سلسلة إصدارات جامعة

صنعاء، ٢٠٠٤م.
٥٤. الشعيبي، أحمد: اليمن – الظواهر الطبيعية والمعالم الأثرية. دار الكتاب الجامعي. صنعاء، ١٩٩٨م.
٥٥. الشيبة، عبد الله حسن: أفول الحضارة اليمنية القديمة. مجلة الإكليل، العددان ٣٣ – ٣٤. صنعاء، ٢٠٠٩م.
٥٦. الشيبة: دراسات في تاريخ اليمن القديم. مكتبة الوعي الثوري. تعز، ٢٠٠٣م.
٥٧. الشيبة: محاضرات في تاريخ الحبشة القديم. دار الكتاب الجامعي. صنعاء، ٢٠٠٦م.
٥٨. الشيبة: محاضرات في تاريخ العرب القديم. مكتبة الآفاق. صنعاء، ٢٠٠١م. ط٣.
٥٩. الشيبة: ترجمات يمانية. دار الكتاب الجامعي. صنعاء، ٢٠٠٨م.
٦٠. صالح، عبد العزيز: الشرق الأدنى القديم – مصر والعراق. مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة، ١٩٨٠م. ط٣.
٦١. الصالحي، واثق: الفرثيون (خ).
٦٢. الصالحي: نشوء وتطور مملكة ميسان (دراسة تاريخية وأثرية). مجلة المورد، العدد الثالث. بغداد ١٩٧٦م.
٦٣. الصالحي، واثق: الحضر والضيزن. آفاق عربية، السنة العشرون. بغداد، ١٩٩٥م.
٦٤. العارف، ممتاز: الأحباش بين مأرب وأكسوم. المكتبة العصرية. بيروت – صيدا، ١٩٧٥م.
٦٥. عاقل، نبيه: تاريخ العرب القديم وعصر الرسول. دار الفكر. بيروت، ١٩٧٢م. ط٢.

٦٦. العبادي، أحمد صالح: اليمن في المصادر اليونانية والرومانية. وزارة الثقافة والسياحة. صنعاء، ٢٠٠٤م.
٦٧. عبادي، نبيل عبد اللطيف: الطيور اليمنية – نماذج من طيور جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية. مركز عبادي للدراسات والنشر. عدن، ١٩٨٩م.
٦٨. عبد الحافظ، عبد الرشيد: تاريخ القانون في اليمن القديم. دار الكتاب الجامعي. صنعاء، ٢٠٠٩م.
٦٩. عبد العال، عادل: الطب القديم – خلاصة أسرار الأطباء القدامى في الطبيعة. دار أجيال للنشر والتوزيع. القاهرة، ٢٠٠٧م. ط٣.
٧٠. عثمان، عبده علي: كتابات في التاريخ الاجتماعي للمجتمع اليمني. مركز الدراسات والبحوث اليمني. صنعاء، ٢٠١١م.
٧١. العفيف، أحمد جابر وآخرون: الموسوعة اليمنية. دار الفكر. دمشق، ١٩٩٩م. ط٣.
٧٢. علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. دار العلم للملايين. بيروت، ١٩٧٠م. ١٧ج.
٧٣. العلي، صالح أحمد: محاضرات في تاريخ العرب القديم. مطابع مؤسسة دار الكتب العلمية للطباعة والنشر. الموصل ١٩٨١م. ٢ج.
٧٤. العنسي، خالد علي: دراسة أثرية للقبر الملكي في العصيبية. العالمية للطباعة والنشر. صنعاء، ٢٠١٢م.
٧٥. العودي، حمود: المدخل الاجتماعي في دراسة التاريخ والتراث العربي. عالم الكتب. القاهرة، ١٩٨٠م.
٧٦. غيث، فتحي: الإسلام والحبشة. مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة، ١٩٤٣م.
٧٧. فخري، أحمد: رحلة أثرية إلى اليمن. وزارة الثقافة والسياحة. صنعاء، ٢٠٠٤م.

٧٨. فرانيتسوزوف، سيرجي: تاريخ حضرموت الاجتماعي والسياسي قبيل الإسلام وبعده، ترجمة: عبد العزيز عقيل. المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية. صنعاء، ٢٠٠٤م.
٧٩. الفرح، محمد حسين: الجديد في تاريخ دولة وحضارة سبأ وحمير. وزارة الثقافة والسياحة. صنعاء، ٢٠٠٤م، ٢ج.
٨٠. الفرح: تاريخ صنعاء الحضاري القديم. وزارة الثقافة والسياحة. صنعاء، ٢٠٠٤م.
٨١. القيم، باسم: البيئيات الطبيعية للسواحل اليمنية... تنوع وثراء. مجلة بينون، العدد الأول. جامعة ذمار، ٢٠٠٤م.
٨٢. كريستنس، آرثر: إيران في عهد الساسانيين، ترجمة: يحيى الخشاب؛ عبد الوهاب عزام. دار النهضة العربية. بيروت، ١٩٨٤م.
٨٣. كوبيسكانوف، يوري. م: أكسوم = النظام السياسي والاقتصاد والثقافة، القرن الأول حتى القرن الرابع – تاريخ أفريقيا العام، ترجمة: جمال مختار. جون أفريك. اليونسكو. باريس، ١٩٨٥م. ٢ مج.
٨٤. المقدسي، محمد بن أحمد: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (د. ن) ليدن، ١٩٥٠م.
٨٥. مكاوي، فوزي: العلاقات بين أكسوم وجنوب الجزيرة العربية في عهد كالب (٤٩٤ – ٥٢٥م) دراسات يمنية، العدد الثالث. صنعاء، ١٩٧٩م.
٨٦. منبه، وهب: التيجان في ملوك حمير (د. ن) حيدر أباد، ١٩٢٦م.
٨٧. منقوش، ثريا: سيف بن ذي يزن بين الحقيقة والأسطورة. دار آزال. بيروت، ١٩٨٠م.
٨٨. منقوش: التوحيد في تطوره التاريخي – التوحيد يمان. دار آزال. بيروت، ١٩٨١م.

٨٩. مؤلف يوناني مجهول: الطواف في البحر الأحمر ودور اليمن البحري، ترجمة: حسين علي الحبيشي؛ نجيب عبد الرحمن الشميري. دار جامعة عدن للطباعة والنشر، ٢٠٠٤م.
٩٠. ميكوريا، تكلي صادق: أكسوم المسيحية – تاريخ أفريقيا العام، ترجمة: جمال مختار. جون أفريك. اليونسكو. باريس، ١٩٨٥م. ٢مج.
٩١. ناشر، هشام عبد العزيز: التجارة وأثرها في تطور ممالك اليمن القديمة (رسالة مكملة للدكتوراه). جامعة عدن، ٢٠٠٩م.
٩٢. الناشري، علي محمد: ذو جرة ودورهم في حكم دولة سبأ وذي ريدان. وزارة الثقافة والسياحة. صنعاء، ٢٠٠٤م.
٩٣. الناصري، سيد أحمد: تاريخ الإمبراطورية الرومانية. دار النهضة العربية. القاهرة، ١٩٧٨م. ط٢.
٩٤. النعيم، نورة عبد الله: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن الثالث قبل الميلاد وحتى القرن الثالث الميلادي. دار الشواف للنشر والتوزيع. الرياض، ١٩٩٢م.
٩٥. نيلسون، دتليف: الكشوف الأثرية، التاريخ العربي القديم، ترجمة: فؤاد حسنين. مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة، ١٩٥٨م.
٩٦. الهمداني: صفة جزيرة العرب. مكتبة الإرشاد. صنعاء، ٢٠٠٨م. ط٢.
٩٧. الهمداني، أبو الحسن: الإكليل. دار العودة. بيروت، ١٩٧٠م. ٨ج.
٩٨. هني، ج. م: العالم البيزنطي، ترجمة: رأفت عبد الحميد. مكتبة سعيد رأفت. القاهرة، ١٩٧٧م.
٩٩. هيستنجز، ا؛ همفريزور، وج: عمان في الألف الثالث قبل التاريخ الميلادي، العدد الحادي والأربعون. مجلة تراثنا. وزارة التراث القومي والثقافة. مسقط، ١٩٩٣م. ط٣.

١٠٠. ولبر، دونالد: إيران... ماضيها وحاضرها، ترجمة: عبد النعيم محمد حسنين. دار الكتاب اللبناني. بيروت؛ دار الكتاب المصري. القاهرة، ١٩٨٥م. ط٥.

المراجع الأجنبية:

1. Baker, Samuel: The Nile tributes Abyssinia. Chicago university press, 1868.
2. Barrette, marylene: le docteure claudie fayein – une figure francaise du Yemen nous a quittes. Chroniques Yemenites. Sana'a, 2001.
3. Benton, William: the encyclopedia Britannica. Chicago university press, 1881. Vol 24. Edition 11.
4. Conte, Carmelo: the Sudan as a nation. Giuffres editions. Paris, 1976.
5. Crolier, limited: the new knowledge, vol 9. Montreal press, 1984. Edition 14.
6. Doe, Brian: southern Arabia (psas). Arabian studies. London press. Vol 1-3, 1970 – 1973.
7. Fage, john; Oliver, Roland: the commerce between Roman Empire and India. The journey African of history. London press, 1978.
8. Krump on the City of Sinnar Spaulding, Jay: THE SUDANESE TRAVELS OF THEODORO KRUMP. London press, 1974.
9. Marcus, Harold g. a: history of Ethiopia. University of California press, 1994.
10. McCann, James: People of the Plow: An Agricultural History of Ethiopia, 1800–1990. Chicago press, 1991.
11. Munro hay, Stuart: Aksum, an African civilization and late antiquity. University of Edinburgh press, 1991.
12. Philby, harry saint: Sheba's daughters. London press, 1939.
13. Robin, Christian; Bafaqih, Mohammed: sayhadicat (recherches sur les

inscriptions de l'arabie pre islamique offertes par ses colleagues au professeur a. f. l. besston et one est organize par la Centre francaise des etudes Yemenites et la Centre Yemenite des etudes et recherches en Sana'a). Editions geuthner. Paris, 1985.

14. Rodinson, maxim: le chritienisme en Axume. Rydan, vol 7. Aden, 2008.

15. Unknown Greek author: The Periplus Maris erythaen, translation: William street. Princeton university press, 1989.

الملاحق

الجدول رقم (١)

الإنتاج الحيو اني في اليمن القديم

النقش	نوع الحيوان	العدد
CIH 540	الحمير	٢,٢٠٠ رأس
	الإبل أو الجمال	٢,٢٨٤ رأس
	الأغنام	٩٠٧ رأس
	الكباش	٩٠٧ رأس
	الأبقار	٩٠٧ رأس
B 47	الحمير الوحشية	١٠٠ رأس
CIH 597	الجمال	٢٠٠ رأس (؟)
Gl 1000	الأبقار	٧١,٦٦٦ رأس
	الإبل	٧١,٦٦٦ رأس
	الحمير	٧١,٦٦٦ رأس
Ir 12	الأغنام	١٠ الاف رأس
	الإبل	٣٠٠ رأس
	الأبقار	١,٣٠٠ رأس
	الحمير	٢٧٠ رأس
Ja 969	الأبقار البرية	٣٥ رأس
	الغزلان	٢٥ رأس
	الفهود	٨ رؤوس
عنان ٥٩	الخيول	٤٨ رأس
	الجمال	١,٢٠٠ رأس
المجموع		٢٣٥,٦٨٩رأس

عن كتاب (دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم)، د/ أسمهان الجرو.

الجدول رقم (٢)

الإنتاج الحيو اني في الحبشة القديمة

النقش	النوع	الأعداد
D. A. E 10	بقر	٣٢ ألف رأس
	ضأن	٥١ ألف رأس
D. A. E 6	بقر	٢٦,١٧٧ رأس
		١١ ألف رطل
	كباش	١,٠٣٧ رأس
	دواب (حميروخيول للنقل)	١,٠٣٧ رأس
المجموع	١١١,٢٥١ رأس و١١ ألف رطل من لحم البقر	

المصدر: الأحباش في تاريخ اليمن القديم، د/ علي الأشبط.

الجدول رقم (٣)

الصادرات الحيوانية والزراعية اليمنية إلى الحبشة

النقش	نوع المنتج الحيواني	الكمية	نوع المنتج الزراعي	الكمية
Ry 508	الإبل		--------	---------
Ja 1028	الأبقار	٩٦,٦٦٦ رأس	--------	--------
	الإبل	٩٦,٦٦٦ رأس	--------	--------
	الضأن	٩٦,٦٦٦ رأس	--------	--------
أبرهة الكبير	الضأن	٣,٥٠٠ رأس	الدقيق	٥٠،٨٠٦ يدع ال (٥,٠٥٠،٠٠٠ كلغم)
	الماعز	٣,٥٠٠ رأس	التمر	٢٦ ألف يدع ال (٢,٦٠٠,٠٠٠ كلغم)
				٥ قدور من خمر التمر(٥٠٠ ليتر)
	الأبقار	٣ آلاف رطل من اللحم	العنب	٣٠٠ قدرمن خمر الزبيب (٣٠ ألف ليتر)
		٥ قرب من الحليب		

المجموع	٤ أنواع	٢٩٧ ألف رأس	٣ أنواع	٧٦,٨٠٩ يدع ال (٧,٦٨٠,٠٠٠ كلغم)
		٣ آلاف رطل من اللحم		
		٥ قدور من الحليب (٥٠٠ ليتر)		٣٥٠ قدر من خمور التمر والزبيب (٣٠,٥٠٠ ليتر)

.المرجـــع: المحاصـــيل الزراعيـــة فـــي الـــيمن القـــديم، ليبيـــا عبـــد الله دمـــاج

الجدول رقم (٥)

الصناعات اليمنية القديمة في القرن السادس الميلادي

المنتج الصناعي	الفئة
صهر الرصاص والنحاس	المعدنية
الأحجار الرخامية	الحجرية
الملاط (شبيه بالأسمنت)	الحجرية
المعاول	المعدنية
الفأس - الرفش	المعدنية
السقالات	الخشبية
رافعات الحجارة	الخشبية

المرجع: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن الثالث قبل الميلاد وحتى القرن الثالث الميلادي، نورة النعيم.

الجدول رقم (٦)

التبادل التجاري بين البلدين

	الزراعية		الحيوانية		الصناعية	
	القديمة	الجديدة	القديمة	الجديدة	القديمة	الجديدة
الصادرات اليمنية إلى الحبشة	القمح، الشعير، اللبان، المر الحضرمي، البن	المر السقطري، الفواكه، العنب والمحاصيل الطبية والعطرية والحبوب والبقوليات والمكسرات	المواشي، دروع السلاحف، الأبقار، الشعاب المرجانية، اللؤلؤة، المانجروف	الخيول، الحمير، العسل والعجول الصغيرة، الماعز، الضأن، الزبدة المحروقة	الذهب، الأواني المنزلية، المنسوجات، الملابس، والحلل الفاخرة الشملات السقطرية والبرديات الصوفية، النحاس الأصفر، الأقمشة، الأساور الفضية والملح والملاط	الأسلحة الثقيلة والمصنوعات العطرية من عطور اللادن والسليخة والجلدية من سروج الخيل وقرب الماء والجلود المدبوغة، الأحجار الكريمة الخمور وتحديدًا النبيذ، الأدوات الحديدية والزجاجية
الصادرات الحبشية إلى اليمن	الأزهار والزيوت النباتية والعنب والمر الصومالي	القرفة الصومالي والقات والتوابل والعطور الخام	ريش النعام وأنياب الفيل وأنياب وحيد القرن	الزرافات والغزلان وجلود الأسود والنمور المنقطة	الأسلحة والمنسوجات القطنية والأواني الزجاجية والنحاسية	المنتجات الجلدية من البسط الأرضية من جلد النمر المدبوغ والمعطر والعاجية من الأواني المنزلية والذهب والكراسي الخفيفة والتماثيل الصغيرة

المرجع: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن الثالث قبل الميلاد وحتى القرن الثالث الميلادي، نورة النعيم.

الجدول رقم (٧)

الموانئ الرئيسية خلال التبادل التجاري بين البلدين

الموانئ اليمنية		الموانئ الحبشية	
القرن الخامس الميلادي	القرن السادس الميلادي	القرن الخامس الميلادي	القرن السادس الميلادي
عدن - موزع - المخا صحار- سقطرى - قنا - فرسان	المخا	عدوليس - سواكن زيلع - قابا	عدوليس

المرجع: Unknown Greek author: The Periplus Maris erythaen , translation: William street. Princeton university press, 1989.

الجدول رقم (٨)

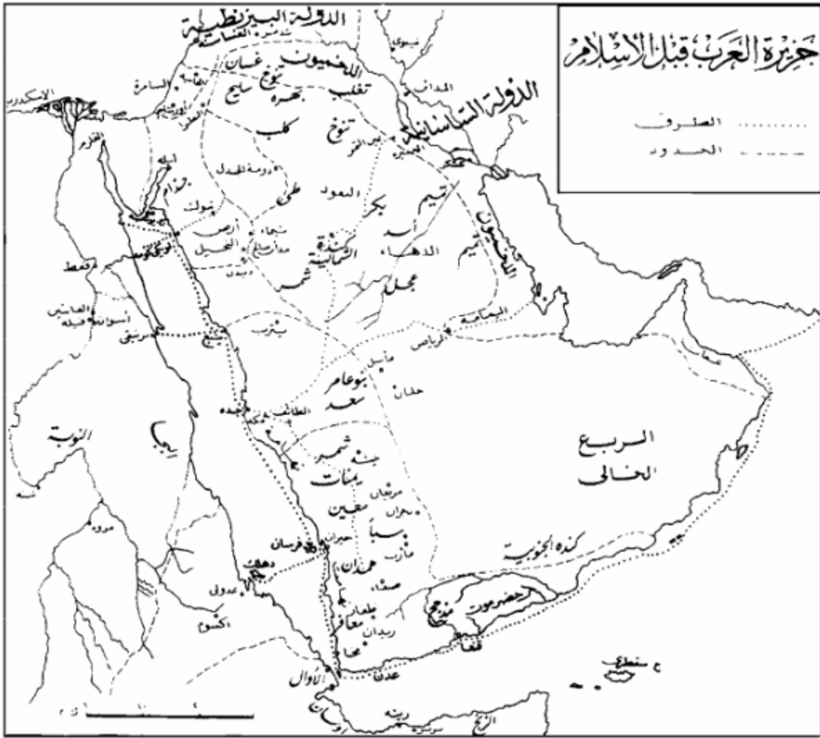
الاتفاقيات التجارية بين البلدين

المصدر النقشي المدون للاتفاقية	الفترة الزمنية	الحاكم الحميري	الحاكم الحبشي
CIH 305	القرن الثالث الميلادي	شمريهحمد	جدرت
IR 67	القرن الثالث الميلادي	شمريهحمد	--------
IR 28	القرن الرابع الميلادي	كرب أيل وتريهنعم	--------
Ga 12	القرن السادس الميلادي	مرثد الن ينوف	كالب – ايلا أصبحه
المصادر السريانية	القرن السادس الميلادي	معد كرب يعفر	كالب – ايلا أصبحه
ثأران	القرن السادس الميلادي	سميفع أشوع	كالب – ايلا اصبحه
أبرهة الكبير	القرن السادس الميلادي	أبرهة	جبري مسقل
CIH 235	القرن السادس الميلادي	أبرهة	جبري مسقل

المرجع: كتاب (النقوش المسندية ولغة الضاد)، ج٢. للقاضي محمد علي الحجري.

خريطة رقم (١)

الشرق الأدنى قبل الإسلام



عن كتاب (الأحباش في تاريخ اليمن القديم)، د/ علي الأشبط.

خريطة رقم (٢)

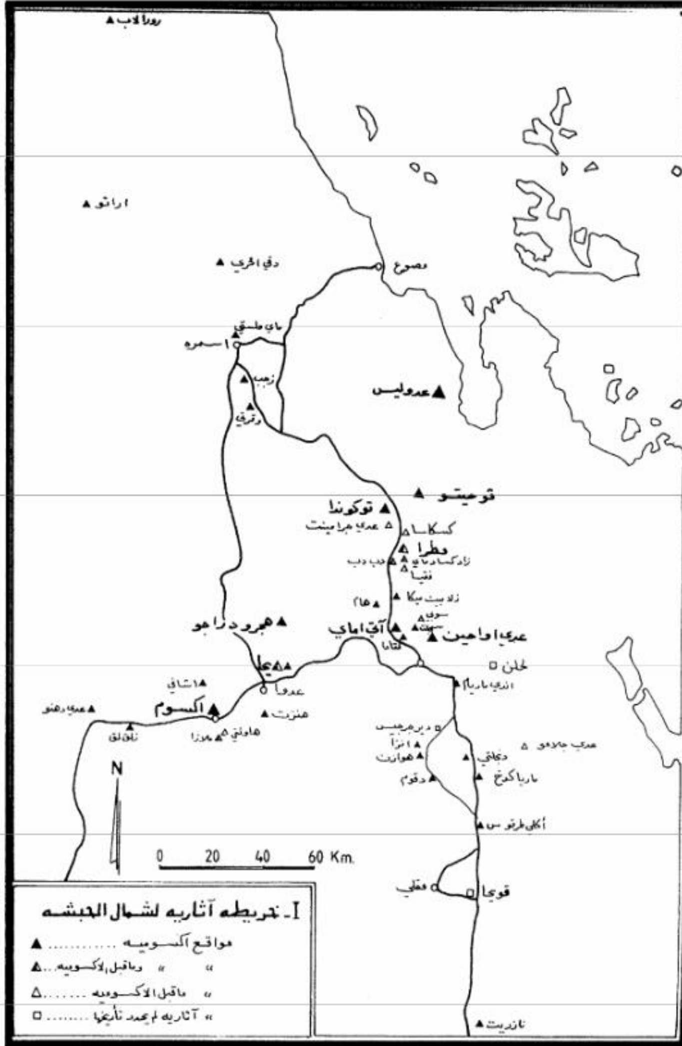
جنوب الجزيرة العربية في القرن الخامس الميلادي



عن كتاب (العلاقات بين شبه الجزيرة العربية والحبشة)، د/ عبد المعطي سمسم.

خريطة رقم (٣)

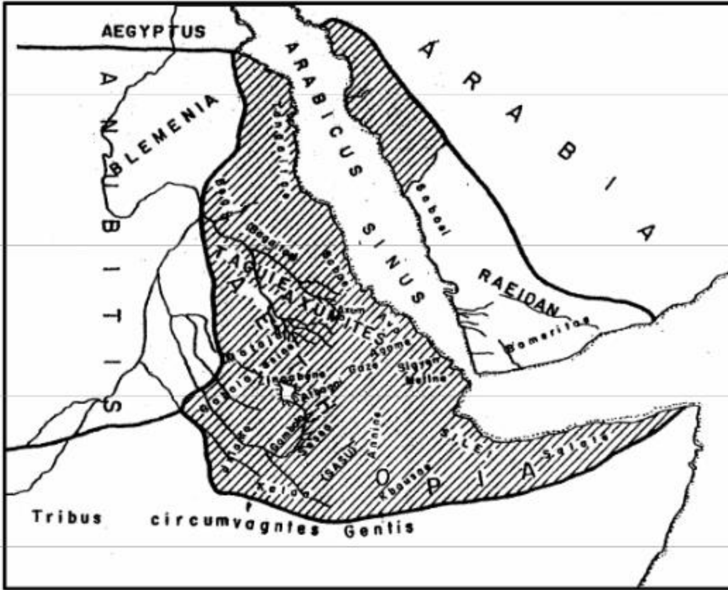
مملكة أكسوم



عن كتاب (الأحباش في تاريخ اليمن القديم)، د/ علي الأشبط.

خريطة رقم (٤)

توسع مملكة أكسوم الإمبراطوري حسب ما ذُكِرَ في النصب التذكاري لعدوليس



عن كتاب (الأحباش في تاريخ اليمن القديم)، د/ علي الأشبط.

خريطة رقم (٥)

حملة أبرهة العسكرية إلى الحجاز



عن كتاب (العلاقات بين شبه الجزيرة العربية والحبشة)، د/عبد المعطي سمسم.

تم بحمد الله

عن المؤلف:

- من مواليد صنعاء - الجمهورية اليمنية - عام ١٩٧٩م
- ماجستير في التاريخ القديم - جامعة صنعاء ٢٠١٤م
- مدرس اجتماعيات سابق (٢٠١١ - ٢٠١٦م).

الآثار الفكرية:

- النمر الأصفر (رواية) ٢٠٢٠م.
- أشواك القلب (مسرحية) ٢٠٢٠م.

قارعة الطريق (مسرحية) ٢٠٢١م،

غابة الألوان (مسرحية) ٢٠٢١م.

ولديه العديد من القصص والقصائد والأبحاث والمقالات التاريخية والثقافية والأدبية المنشورة في صحف ومجلّات الثقافية والثورة والوحدة والوسط ومعين (٢٠٠٨ - ٢٠١٦م).

